صفحات مختصرة

في بناء الإيمان

تأليف
إسماعيل المجذوب

الفهرس

المقدمة ٩
فصول هذا الكتاب ١٠
الفصل الأول ١١
علم العقيدة الإسلامية ١١
خصائص العقيدة الإسلامية ١١
إضاءات علمية ١٢
الإضاءة الأولى: الإسلام دين المعرفة والبرهان ١٢
الإضاءة الثانية: اهتمام الإسلام بالجانب العقلي ١٢
الإضاءة الثالثة: بيان وسائل العلم والمعرفة ١٣
وسائل العلم والمعرفة للإنسان ١٣
الإضاءة الرابعة: الإلهام و الرؤيا الصالحة لا ينتج عنهما علم ١٤
الإضاءة الخامسة: إيماننا بالغيب يعتمد على المنهج العلمي ١٥
الإضاءة السادسة: لا مستند في أمور الغيب إلا الوحي ١٦
الفصل الأول الإيمان مُجْمَلاً ومفصلاً ١٧
الإيمان مُجْمَلاً ١٧
تفصيل أركان الإيمان ١٨
الركن الأول الإيمان بالله تعالى وحده ١٨
وفيه ثلاث مسائل: ١٨
المسألة الأولى: الإيمان بالله فطرة وبديهة ١٨
المسألة الثانية: البرهان والدليل العقلي ركيزة الإيمان بالله تعالى ١٩
المسألة الثالثة: معرفة صفات الله تعالى ٢١
طريق معرفة صفات الله تعالى ٢١

معرفة صفات الله لها طريقان: ٢١
أما الطريق الأول ٢١
وأما الطريق الثاني ٢٢
أُسُسُ معرفةِ صفات الله تعالى ٢٢
الإيمان بما فصَّله الوحي من صفات الله تعالى ٢٤
أ- وحدانية الله تعالى ٢٥
الشرك قولٌ باطل وتصورٌ غير صحيح ٢٨
الإله لا يُتَّخَذُ اتخاذاً ٢٨
الله تعالى فعال لما يريد وهو على كل شيء قدير ٢٩
الله خالق كل شيء ولا خالق غيره ٣٠
الله الخالق وللعباد الكسب ٣٠
اختيارنا في الأمور التكليفية من البديهيات ٣٠
الله العليم الحكيم ٣١
الله عليم: ٣١
الله هو الغني الحميد ٣٢
وهو الغني ٣٢
وهو الحميد ٣٣
الله هو الحي القيوم ٣٣
الله هو الغفور الرحيم ٣٤
الله سميع بصير ٣٥
من صفات الله تعالى الكلام ٣٥
الله تعالى هو الأول والآخر ٣٦
الله ليس كمثله شيء ٣٦
الإيمان بكل ما جاء في القرآن والسنة من صفات الله تعالى ٣٧

صلاح القلوب والأعمال من الإيمان ٣٨
الإيمان بأن محمداً ﷺ رسول الله ٤٠
من دلائل نبوة سيدنا محمد ﷺ ٤٠
من معجزات نبينا محمد ﷺ ٤٠
الإسراء والمعراج ٤٠
معجزة القرآن الكريم ٤٢
وجوه من إعجاز القرآن ٤٢
الركن الثاني الإيمان بالملائكة ٤٤
الركن الثالث الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام ٤٧
لا يُقبل الإيمانُ بالله تعالى إلا مع الإيمان بجميع الرسل ٤٧
دين الأنبياء دينٌ واحد ٤٩
لا يختلف في أمور العقيدة، ولا في الأوامر والنواهي الأساسية ٤٩
محمدٌ ﷺ خاتم النبيين لا نبي بعده ٥٠
نبينا محمد ﷺ بَشَّرَ به الأنبياء السابقون عليهم الصلاة والسلام... ٥١
عموم رسالة النبي محمد ﷺ ٥٢
شريعته ﷺ ناسخة لما خالفها من الشرائع السابقة ٥٢
عصمة الرسل عليهم الصلاة والسلام من المعاصي ٥٢
لا عصمة لغير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ٥٤
معجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام ٥٤
الركن الرابع الإيمان بجميع الكتب السماوية ٥٦
القرآن الكريم محفوظ قد تكفل الله تعالى بحفظه ٥٧
الركن الخامس الإيمان باليوم الآخر ٥٧
اليوم الآخر من مظاهر حكمة الله تعالى ٥٨
وقت يوم القيامة لا يعلمه إلا الله تعالى ٥٨

حياة البرزخ نعيماً أو عذاباً ٥٩
فتنة القبر (البرزخ) ٦٠
حياة الشهداء ٦١
يوم القيامة يحيي الله الموتى ويبعث من في القبور ٦٢
كروبُ وشدةُ أهوال يوم القيامة ٦٢
الناجون من أهوال يوم القيامة ٦٣
الشفاعة العظمى ٦٤
للنبي ﷺ شفاعات أخرى ٦٥
شفاعاتٌ في الآخرة لغير نبينا ﷺ ٦٥
الحساب والميزان وأخذ العباد كتبهم ٦٦
شهادات في يوم القيامة ٦٧
حوض نبينا محمد ﷺ ٦٨
المرور على الصراط، وأولُ الأمم مروراً ٦٨
من يدخلون الجنة بغير حساب ٦٩
نار جهنم ليست كنار الدنيا وعذاب أهلها متفاوت ٧٠
عذاب الكافرين في النار دائم ٧٠
أهل النار يُعادِي بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض ٧١
عصاة المؤمنين لا يخلدون في النار ٧٢
أهل الجنة فيها خالدون، ومنها لا يخرجون ٧٢
أعظم نعم الجنة رؤية الله تعالى ورضاه ٧٣
هل يرى اللهَ تعالى أحدٌ في الدنيا؟ ٧٣
من ادعى رؤية الله في الدنيا فهو ضال وكاذب ٧٤
الركن السادس الإيمان بالقدر ٧٥
أنواع المقدرات بالنسبة لاختيار العبد ٧٦

الإيمان بالسمعيات التي ثبتت بالوحي ٧٧
ومما جاء به ﷺ مضاعفة الحسنات ٧٨
الذنوب صغائر وكبائر ٧٩
الله تعالى لا يغفر أن يُشرَك به إلا بالتوبة ٨٠
ذنوب عصاة المؤمنين راجعٌ أمرها لمشيئة الله تعالى ٨١
المسلم لا يكفر بارتكاب الكبائر ٨٢
من مقتضيات الإيمان احترام أهل البيت والصحابة ومحبتهم ٨٣
الفصل الثالث ميزان الإيمان ٨٦
الفصل الرابع ملحقات مهمة لا بد من معرفتها ٨٨
الملحق رقم (١) الأولياء وكراماتهم ٨٨
١- الكرامات موجودة ٨٨
٢- من هو الولي؟ ٩٠
٣- لا تلازم بين الولاية والكرامة (الأمر الخارق لقوانين الطبيعة . ٩٠
٤- لا نجزم بولاية إنسان إلا عن طريق الوحي الإلهي ٩١
٥- الأولياء لا يتصرفون في شيء من هذا الكون ٩٣
٦- لا يصح اعتبار المجنون أو المعتوه من الأولياء ٩٤
٧- أعظم الكرامات الاستقامة على هدي النبي ﷺ ٩٥
الملحق رقم (٢) الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى والتحذير من الكهانات
..... ٩٦
من أمراض عصرنا محاولة استطلاع المستقبل ٩٦
انتشار الكهانة باسم الاستخارة ٩٧
حقيقة الاستخارة ٩٩
الملحق رقم (٣) في التحذير من تكفير المسلم لأخيه ١٠٠
الملحق رقم (٤) وساوس الكفر لا يؤاخذ بها العبد ١٠٤

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله أنار بصائر أحبابه بمعرفة الحق، وهداهم إلى صراطه المستقيم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي تَرَكَنَا على المحجة البيضاء، ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

أما بعد: فإنَّ معرفةَ العقيدة الصحيحة أهمُّ جوانب المعرفة(١)، وخطرَ الجهل في العقيدة أعظمُ الأخطار، وأكبر الجهالات (٢).

ولما رأيت كثيراً من المسلمين أخذوا دينهم تقليداً دون علم ولا بصيرة وأحببت أن يكون لي نصيب من خدمتهم، فكتبت كتاب **المنهج المفيد في بناء الإيمان والعقيدة**، وكان فيه جانب من الطول، وكثير من التعليقات النافعة، ومُلحَقاتٌ

---

(١) فبمعرفة العقيدة الصحيحة ينظر الإنسان إلى نفسه وإلى الكون والحياة النظرة الصحيحة؛ لأنه ينظر بالمنظار الصحيح الذي ميز الله تعالى به الإنسان، وهو العقل المستضيء بضياء القرآن الكريم.

(٢) إذ بسبب هذا الجهل يكون الإنسان جاهلاً بحقيقة نفسه وبالحكمةِ التي وُجِدَ من أجلها، ويجهل معنى الحياة الإنسانية، ويخسر الدنيا والآخرة.

مفيدة، رأيت أن من الحكمة أن آخذ أهم ما فيه؛ لأجعله رسالة تعين على معرفة عقيدة أهل الحق ليكونوا على بصيرة في دينهم، أسأل الله تعالى أن يتقبلها وينفع بها، وستكون هذه الرسالة إن شاء الله تعالى كما كان أصلها قريبةً لمنهج الصحابة ﷺ والتابعين والأئمة المجتهدين، خاليةً من التعقيد.

كما أبتعد في هذه الرسالة عن الانشغال بأمور كثر الجدل فيها مما لا يُسأل عنه العبد يوم القيامة، وعن علم الكلام وعن منطقِ وفلسفةِ اليونان، وسميتها: **صفحات مختصرة في بناء الإيمان**.

فصول هذا الكتاب

وقد رأيتُ أن أجعل هذه الرسالة **أربعة فصول**:

الفصل الأول: في تعريف علم العقيدة، وبيان خصائصها، مع إضاءات علمية ضرورية تجعل المسلم الدارس لها على بصيرة في دينه، وتبعده عن الانحرافات الخطيرة التي زَلِقَ إليها كثيرٌ من المتدينين.

الفصل الثاني: في بيان الإيمان مُجْمَلاً ومُفَصَّلاً.

الفصل الثالث: في ذكر ميزان للإيمان يزن به المسلم إيمانه قوة وضعفاً.

الفصل الرابع: في مُلْحَقات مهمة لا بد من معرفتها [1].

الفصل الأول

علم العقيدة الإسلامية

علم العقيدة: هو العلم الذي تعرف به العقائد الدينية التي جاء بها رسول الله ﷺ بالأدلة اليقينية.

خصائص العقيدة الإسلامية

١- موافقتها للفطرة.

٢ - سهولتها ووضوحها وبُعدها عن التعقيد، يفهمها أقل الناس علماً، ويدرك عظمتَها الراسخون في العلم.

---

(١) وهي أربعة: **الأول**: في بيان أمور مهمة تتعلق بكرامات الأولياء، **والثاني**: في التحذير كهانات منتشرة باسم الاستخارة، من تكفير المسلمين، **والثالث**: في التحذير من تكفير المسلمين، **والرابع**: في بيان أن الوساوس الكفرية ليست كفراً ولا يحاسب عليها العبد، وفي الأصل سِتُّ ملحقات أخرى.

وقد جعلت هذه الرسالة بمقدار ربع أو ثلث الأصل ومن وجد حاجة إلى زيادةٍ في بحثٍ ما عمَّا في هذه الرسالة وجده غالباً في أصل هذه الرسالة وهو كتاب **المنهج المفيد في بناء الإيمان والعقيدة**.

٣- **بناؤها على الدليل** والإقناع العقلي العلمي.

٤- **تجعل المؤمن على علاقة بالله تعالى،** وتترك فيه أسمى معاني الطمأنينة، والعزة والقوة، والإحسان، والتواضع، وحب الخير للناس.

إضاءات علمية

الإضاءة الأولى: الإسلام دين المعرفة والبرهان

من خصائص ديننا أنه دين المعرفة والبرهان، وأُسُسُ هذا الدين كلٌ منها مبنيٌّ على أقوى الأدلَّة وأوضح البراهين التي تجعل المؤمن في دينه على بصيرة، ويُقْنِعُ به كلَّ مُنْصِف، وهذه الصفة من أهَمّ صفات الأتباع الحقيقيين لرسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ **قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [يوسف/١٠٨].

الإضاءة الثانية: اهتمام الإسلام بالجانب العقلي

إنَّ مِنْ أعظم ما يركز عليه القرآن الكريم في الدعوة لهذا الدين هو الخاصية الأولى للإنسان، وهي الجانب العقلي.

ومن مظاهر هذه العناية:

١ – أنَّه رَبَطَ بالعقل التكليفَ الشرعي؛ فالعاقل مكلف، وغير العاقل ليس مكلفاً.

٢ – أنه مَنَعَ المسلمَ من أن يقول أيَّ قولٍ، أو يعمل أيَّ عمل إلا بعلم، قال تعالى: ﴿**وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً**﴾ [الإسراء / ٣٦].

٣ – أنَّه اعتبر إهمال العقل نزولاً عن المنْزِلة والكرامة الإنسانية، قال تعالى: ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** ﴾ [الأعراف / ١٧٩].

الإضاءة الثالثة : بيان وسائل العلم والمعرفة

لقد كثر من يتكلم في أمور الدين والدنيا بغير المنهج العلمي، وأدى ذلك إلى جهل مركب وتصورات غير صحيحة في أمور كثيرة؛ فما هي وسائل العلم عند الإنسان؟.

وسائل العلم والمعرفة للإنسان ثلاثٌ هي:

١– العقل السليم ٢– الحواس السليمة ٣– الخبر الصادق.

وكلٌّ من هذه الوسائل يُدرَكُ به ما لا يُدرك بالآخر.

فبالعقل ندرك المعقولات التي يقطع العقل بصحتها.

وبالحواس السليمة نعرف المحسوسات: المرئيات، والمسموعات، والمطعومات وغيرها.

وبالخبر الصادق نعرف بعض ما غاب عنا من الأمور.

الإضاءة الرابعة: الإلهام و الرؤيا الصالحة لا ينتج عنهما علم

اعتمد بعض الناس في بعض أمورهم على وسائل غير ما تقدم من وسائل العلم، وكان ذلك من أسباب ضلالهم، ومن ذلك ما يتوهمه كثير أنَّ إلْهام الصالحين والرؤيا الصالحة يمكن الاعتماد عليهما.

وهذا بعدٌ عن المنهج العلمي الذي جاءت به أدلة القرآن الكريم، والسنةِ الصحيحة، قال تعالى: ﴿ **وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾ [الإسراء/٣٦] (١).

---

(١) وقد أدرك علماء المسلمين خطر الاعتماد على الإلهام والرؤيا فحذروا من ذلك في كتب العقيدة، والفقه، وأصول الفقه، قال النسفي في أول صفحة من كتاب **العقائد النسفية: والإلهام ليس من أسباب المعرفة بصحة الشيء عند أهل الحق** اهـ .

الإضاءة الخامسة: إيماننا بالغيب يعتمد على المنهج العلمي

اعتقاد المسلم الحقيقي بأمور الغيب يعتمد على المنهج العلمي؛ لأنه عندما نبني إيماننا بالله تعالى وبرسوله ﷺ وبالقرآن الكريم على الأدلة والبراهين العلمية فإنه ينتج عن ذلك أننا عندما نؤمن بأمرٍ غيبيّ جاء به القرآن أو بَلَّغَهُ النبي ﷺ فإنَّ هذا الإيمان الغيبي يكون مبنياً على العلم.

فعندما سعى مشرك إلى أبي بكر رضي الله عنه فقال: هذا صاحبك يزعم أنه قد أُسري به الليلة إلى بيت المقدس ثم رجع من ليلته.

قال أبو بكر رضي الله عنه : أوَ قال ذلك؟ قالوا نعم.

وقال السبكي في **جمع الجوامع** عن الإلهام: **وليس بحجة لعدم ثقة من ليس معصوماً بخواطره. [البناني على جمع الجوامع٢/٣٥٦]**

وقال السرخسي في **المبسوط** ١٦ / ١٣٣ والكاساني في **بدائع الصنائع** ٦ / ٢٦٩ وابن نجيم المصري في **البحر الرائق** ٧ / ٩٣ : **من كان يعتمد على الإلهام لا تقبل شهادته.** وقال الشيخ زكريا الأنصاري في **لُبّ الأصول/** ١١٨ : **ويقرب من الإلهام رؤيا المنام فمن رأى النبي ﷺ في نومه يأمره بشيء أو ينهاه عنه لا يجوز اعتماده مع أن من رآه فقد رآه حقاً، لعدم ضبط الرائي.**

فقال أبو بكر ﷺ : **فإني أشهد إن كان قال ذلك لقد صدق**، فقالوا أتصدقه بأنه جاء الشام في ليلة واحدة ورجع؟ قال أبو بكر ﷺ: **نَعَمْ إِنِّي أُصَدِّقُه بأبعدَ منْ ذلك أصدِّقُه بِخَبَرِ السماء بكرةً وعشياً**، فلذلك سمي أبو بكر بالصديق [الحاكم ٣ / ٦٥ وصححه وأقره الذهبي].

وهذا التصديق الغيبي جانبٌ علميٌّ صحيحٌ مبنيٌّ على ما عُرِفَ من عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

الإضاءة السادسة: لا مستند في أمور الغيب إلا الوحي

ومن اعتمد في أمور الغيب على غير هذا الوحي فقد خالف شرع الله تعالى، وابتعد عن مبادئِ العلمِ؛ لأنه لا يعلم الغيب إلا الله، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ **وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** ﴾ [الإسراء/٣٦].

وقال سبحانه: ﴿ **قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ** ﴾ [النمل/٦٥] .

الفصل الأول الإيمان مُجْمَلاً ومفصلاً

الإيمان مُجْمَلاً

إن الإيمان الذي يَقْبَلُهُ الله تعالى ويرضاه من العبد ويثيبه عليه الخلودَ في الجنة هو الإيمان بمضمون شهادتي **[أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمداً رسول الله]**.

ويُبْنَى على الشهادتين أركانُ الإيمانِ التي بَيَّنَها رسول الله ﷺ عندما سئل عن الإيمان بقوله: ((**أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ**)) **[مسلم / ٨]** .

كما يُبْنَى عليهما الإيمانُ بكل ما جاء به رسول الله ﷺ من الوحي، ومن ذلك الأمور الغيبية والأحكام الشرعية التي ذُكرت في القرآن الكريم، أو في الأحاديث الصحيحة.

فإذا نطق الإنسان **بالشهادتين** موافقاً قلبُه لسانَه خاضعاً لله تعالى مصدقاً بكل ما جاء به رسول الله ﷺ ومات على ذلك كان من المؤمنين الخالدين في الجنة الْمُكَرَّمِيْنَ بمرضاة الله عز وجلَّ.

تفصيل أركان الإيمان

نربط تفصيل جوانب الإيمان بتفصيل النبي ﷺ وهي **الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره.**

الركن الأول الإيمان بالله تعالى وحده

وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: الإيمان بالله فطرة وبديهة

الإيمان بوجود الله تعالى ووحدانيته **فطرةٌ وبديهةٌ.**

أما كونه فِطْرةً فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿**فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا**﴾ [الروم/٣٠] وقال ﷺ : ((**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ**)).

[البخاري / ١٣١٦ ومسلم / ٢٦٥٨]

ومن مظاهر هذه الفطرة أنَّ الإنسان وإن كان مشركاً عندما يقع في شدة أو كرب فإنه يلجأ إلى الله تعالى يرجو منه النجاة كما قال تعالى:﴿ **ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ * ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ** ﴾ **[النحل/ ٥٣-٥٤]**.

وأما كونه بديهةً فلأن الإنسان العاقل إذا رأى أيَّ مصنوع مهما قل شأنه فإنه يعلم بداهة أنَّ له صانعاً ولا

يتساءل عن وجود صانع لهذا المصنوع، وإذا ما سأل أحد عن وجود صانعٍ لِمَا رآه من هذه الأمور اتُّهِمَ في عقله وعُرِفَ عدمُ التوازن في تفكيره.

المسألة الثانية: البرهان والدليل العقلي ركيزة الإيمان بالله تعالى

الفطرة قد تنحرف، والجهالة والأهواء قد تغطي البديهيات.

من أجل ذلك لا بد للإنسان من أساس عقلي علمي يكون سنداً لهذا الإيمان الفطري، وقد سلك القرآن طريق إثارة التفكير عند الإنسان ليوصله إلى حماية فطرة الإيمان بالله تعالى وإلى تثبيت هذا الإيمان عن طريق الدليل والبرهان.

فإذا قرأنا آية: ﴿ **وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيم** ﴾ [البقرة / ١٦٣] وقد ذُكر فيها وحدانيةُ الله تعالى وبعضُ صفاته، فإننا نجد بعدها ما يرشد إلى التفكير والبرهان الساطع الذي يوصله إلى الإيمان بالله تعالى ومعرفة عظمته بواسطة التفكير في مصنوعاته، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ**

وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [البقرة / ١٦٤].

وهذا منهج عامٌّ في القرآن الكريم، وأمثلته كثيرة، وإني أدعو القارئ الكريم إلى تلاوة أوائل سورة النحل، مع التدبر في الجانبين العقلي والقلبي لنجد الأنوار العظيمة التي ترشد العقول وتملأ القلوب بضياء يحيي القلوب بِشُعَبٍ إيمانية ومعرفة عقلية تجعل المؤمن يدرك عظيم فضل الله تعالى عليه.

يجد في أول السورة دعوةَ الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى الإيمان بالله وحده، مع البراهين التي تُعَرِّفُه صفات الله العظيمة عندما يفكر في مصنوعاته، فقد ذَكَرَ سبحانه خَلْقَهُ للسماوات والأرض، وخَلْقَهُ للإنسان وما سخره له من الأنعام، ثم ذكر المطر والنبات والثمرات وتسخير الليل والنهار والشمس والقمر، وبعد هذا ذكر تثبيته للأرض بالجبال وما ربطه بالجبال من الأنهار ومصالح البشر مذكراً عباده بفضله ورحمته (١).

---

(١) آيات القرآن الكريم مع كونها تحرك عقول العباد بالتفكير في مخلوقات الله تعالى ليعرفوا وحدانيته وعظمته وعظمة صفاته تذكرهم أيضاً بعظيم فضله، وكثرة نعمه، وبأنهم المفتقرون إليه في كل ما يحتاجونه، وأنهم إليه راجعون، وهذه جوانب إيمانية ضرورية ترافق معرفة الأدلة والبراهين.

المسألة الثالثة: معرفة صفات الله تعالى

إن معرفة الإنسان لصفات الله عز وجل يمكن أن تكون معرفةً إجمالية؛ بحيث يعرف أنه تعالى واحد لا شريك له، وأنه متصف بصفات العظمة والكمال التي تليق به، وأنه مُنَزَّهٌ عن جميع صفات النقص.

لكن مع هذه المعرفة الإجمالية لا بد لنا أن نعرف من صفات الله تعالى تفصيلات جاءت في القرآن الكريم، وفي سنة النبي ﷺ.

طريق معرفة صفات الله تعالى

معرفة صفات الله لها طريقان: كلٌّ منهما مرتبط بالآخر.

الأول: النظر والتأمل في مخلوقات الله عزَّ وجلَّ.

والثاني: الوحي الذي جاء به النبي ﷺ من عند الله سبحانه.

أما الطريق الأول فإنَّ الصنعة كما تدل على أنَّ لها صانعاً فإنها تدل أيضاً على صفاته.

فإذا تأملت آلةً واطَّلَعْتَ على بعض أقسامها وما يرتبط بكل قسم من الوظائف عرفت كثيراً من صفات صانعها،

وكذلك إذا فكرنا في أنفسنا وفيما حولنا وفي كل شيء من هذا الكون دَلَّنا ذلك على الله تعالى، وعلى عظيم صفاته، وفي الوقت نفسه يدلنا على عظيم فضله، وعلى افتقارنا وشدة حاجتنا إليه [1].

وأما الطريق الثاني فإنه يُقَوِّي ويزيد معرفتنا بصفات الله تعالى، مع ضياءٍ إيمانيٍّ في القلوب يحقق شُعَبَ الإيمان القلبية، ويحمي القلوب والعقول من الزيغ والانحراف؛ فالطريقة المثلى أن نتعرف على الله تعالى بضياء القرآن الكريم، وبهدي رسوله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى.

أُسُسُ معرفةِ صفات الله تعالى

من أجل أن يكون إيماننا أقرب إلى إيمان السابقين الأولين رضي الله عنهم لا بد لنا من معرفة الأسس التي بَنَوْا عليها معرفتهم، وهي:

---

(١) يليق بأهل عصرنا أن يكون هذا التفكير موافقاً لما يناسب هذا العصر الذي يَسَّرَ الله فيه للإنسان أن يغوص في أعماق أسرار الخلق، فهذا يعطي نتائجَ إيمانيةً أعظمَ، ومعرفةً أكبرَ بعظمة الله تعالى، وعظمة صفاته؛ فالقرآن مُوَجَّهٌ إلى جميع الناس في كل العصور.

١- أنْ نؤمن بما جاء به الوحي من الكتاب والسنة من صفاته سبحانه؛ فنثبت ما ثبت بالوحي الإلهي، وننفي ما نفاه.

٢- أنْ نعلم أننا عاجزون عن معرفة حقيقة صفاته سبحانه كعجزنا عن معرفة ذاته، قال تعالى: ﴿ **مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ** ﴾. [الحج / ٧٤]

٣- أنْ نُنَزِّهُ اللهَ تعالى عن المشابهة لصفات المخلوقات فهو سبحانه لا يشبهه شيء في ذاته ولا في صفاته ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الشورى / ١١].

٤ – أن نعتمد على منهج القرآن الكريم، لا على طريقة الفلاسفة وعلم الكلام

٥- أن نبتعد عن الجدل والتأويل في صفاته سبحانه[١].

---

(١) وهذا هو العمل بما اختاره أئمة الهدى من سلف الأمة وخلفها، وذكر الترمذي أنَّ صفات الله تعالى **يُؤمَنُ بِهَا ولا يُتَوَهّمُ ولا يُقَال كَيْفَ، وأن كل ما وصف الله تعالى من نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه وهذ مروي عن الإمام مالكِ بن أَنسٍ وسُفيانَ بن عُيَينَةَ وعَبدِ الله بن المبارِكِ رحمهم الله تعالى وأَنَّهُم قَالُوا في هَذِهِ الأَحاديثِ: أَمِرُّوَها بلا كَيفَ، قال الترمذي: وهَكذَا قَولُ أَهلِ العلمِ مِن أَهلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَة اهـ [سنن الترمذي /كتاب الزكاة /باب فضل الصدقة]**.

ومع بعدنا عن التأويل، وتأسينا بالسلف لا نعتبر كلَّ تأويل بدعةً ومخالفةً:

الإيمان بما فصَّله الوحي من صفات الله تعالى

بعد ما تقدم من المقدمات والأسس نقف مع ما جاء به الوحي الإلهي كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ نقتبس من

أما تأويل أهل الأهواء المخالف لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ﷺ والتابعون فهو ضَلالٌ، وأمَّا التأويل القريب الذي جاء مثله عن السلف الصالح فلا حرج فيه، ومن ذلك:

١- قول البخاري في صحيحه: ﴿ **كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلا وَجْهَهُ** ﴾ إلا مُلْكَه، ويقال: إلا ما أريد به وجه الله تعالى.

٢- قول الإمام الطبري في تفسير ﴿ **واللهُ مِن وَّرَائِهِم مُّحِيْطٌ** ﴾: بأعمالهم، مُحْصٍ لَهَا، لا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهَا شيءٌ، وهو مجازيهم على جميعها.

٣- قول ابن كثير في تفسير ﴿ **مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا** ﴾ أيْ مُطَّلِعٌ عليهم، يسمع كلامَهم وسرهم ونجواهم، ثم قال: حكى غير واحد الإجماعَ على أن المراد بهذه المعيةِ معيةُ علمه تعالى.

٤- قول الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في تفسير ﴿ **وَجَاءَ رَبُّكَ** ﴾أي جاء ثوابه. **[البداية والنهاية ١٠ / ٣٢٧]** .

ضيائه معرفةً لصفات ربنا سبحانه، نضيء به قلوبنا بالإضافة للمعرفة الموجودة في عقولنا [1] .

وأبدأ بأهَمّ وأول ما كان يركز عليه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهو دعوتهم لأقوامهم إلى توحيد الله، قال عزَّ وجلَّ: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ** ﴾ **[الأنبياء/ ٢٥]**.

وكانت دعوة كلٍّ منهم: ﴿ **يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ** ﴾ **[الأعراف/ ٥٩]** ولذلك سيكون الكلام في الوحدانية أوسع من الكلام في غيرها من صفاته عزَّ وجل.

أ- وحدانية الله تعالى

الله تعالى هو الإله ولا إله سواه، وهو المعبود بحقٍّ ولا يعبد سواه

ونبحث في هذه الصفة في جانبين:

---

(١) تدبر آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية المرتبطة بصفات الله تعالى وأسمائِه الحسنى يحيي القلوب ويصلحها ويداويها من أمراضها، ويدفع المؤمن إلى التحقق بشعب الإيمان في ظاهره وباطنه، وفي أقواله وأفعاله وأحواله.

الجانب الأول: أن الله سبحانه هو وحده الإله الخالقُ والمالك لكل شيء، وأنه وحده المستغني عن كل شيء، وكل شيء مفتقرٌ إليه، وأنه بيده ملكوت كل شيء، وهو المتصرف بكل ما في هذا الكون، لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه.

الجانب الثاني: وهو لازم للأول: أنه سبحانه هو وحده المستحق للعبادة، ولا يستحق العبادة أحد سواه، فهو وحده المعبود بحقٍّ.

وأنه بيده وحده التشريع، وهو وحده يُحلُّ الحلال يُحرِّم الحرام، وله وحده الطاعة المطلقة، فلا طاعة لمخلوق في معصيته، وكل من في السموات والأرض عبيده الضعفاء؛ فلا يُتوكلُ ولا يُعتمد إلا عليه، قال تعالى: ﴿ **قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ** ﴾ [الزمر / ٦٤].

وقال سبحانه: ﴿ **قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾ [الزمر/٣٨].

وقد علمنا القرآن هذين الجانبين من التوحيد في آياته الكثيرة، وأجْمَلَ ذلك في السورة التي نقرؤها في كل ركعة، وهي أعظم سورة من القرآن الكريم.

فهو سبحانه يذكرنا بالأمر الأول في الآيات: ﴿ **الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾

ويذكرنا بالأمر الثاني في الآيات: ﴿ **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ** ﴾ .

ونقف مع آيات أخرى من القرآن تضيء قلوبنا وتوصلنا إلى اليقين المبني على الدليل والبرهان.

إن انتظامَ وتلاؤمَ سيرِ هذا الكون الواسع مع كثرة أنواع المخلوقات واختلافها، واختلافِ أنظمتها لَيَدُلُّ أصحاب العقول على أنَّ لهذه المخلوقات إلهاً واحداً خلقها ويُسَيِّرُها بحكمته كما يريد.

قال عز وجل: ﴿ **مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذاً لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ **[المؤمنون/٩١]** .

وقال تعالى: ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ **[الأنبياء/٢٢]**.

وقال سبحانه: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ** ﴾ **[فاطر/٣]**.

فالإله الحق هو الخالق لكل شيء، فأين معنى الألوهية في سواه؟ وماذا خَلَقَت تلك المعبوداتُ التي عُبِدتْ من قبل الجاهلين؟ قال تعالى: ﴿ **هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ** ﴾ [لقمان/١١].

وقال سبحانه: ﴿ **أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ** ﴾ [الأنبياء/٢٤].

الشرك قولٌ باطل وتصورٌ غير صحيح

فالإله هو المستغني عن كل شيء، وكلُّ شيء مفتقر إليه، وما ليس كذلك ليس إلهاً.

ويلزم من هذا النقاطُ التالية التي يعرفها أهل الحق:

١-الإله خالق كل شيء. ٢- الإله ليس مخلوقاً.

٣- الإله لا يحتاج إلى شيء. ٤- الإله يحتاج كلُّ شيء إليه.

والمعبودات التي عبدت في تاريخ البشر القديم والحديث كلٌ منها مخلوق لا خالق، وكلٌ منها فقير محتاج فكيف يكون إلهاً؟.

الإله لا يُتَّخَذُ اتخاذاً

يمكن للإنسان أن يتخذ صديقاً أو معلماً أو شريكاً، ولكن لا يمكن أن يَتَّخِذَ إلهاً؛ فالنقاط الأربع السابقة التي

تعطي الإنسان التصور الصحيح لمعنى كلمة **الإله** لا يمكن أن تكون في غير الله.

قال عزَّ وجلَّ: ﴿ **وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ * لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ** ﴾ [يس/ ٧٤و ٧٥]

الله تعالى فعال لما يريد وهو على كل شيء قدير

فالله تعالى له الإرادة المطلقة، **وهو الفعال لما يريد.**

إرادتُه تعالى فوقَ كلِّ إرادة، وله القدرة المطلقة **فهو على كل شيء قدير**، فما شاء الله كان، وما لم يشأ فلا يمكن أن يكون.

قال تعالى: ﴿ **أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾ [الأعراف/ ٥٤] وقال سبحانه: ﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [يس/ ٨٢-٨٣]

وقال عز وجل: ﴿ **وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصَيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [يونس/ ١٠٧].

الله خالق كل شيء ولا خالق غيره

فالأرض وما فيها، والسماوات وما فيهن، وجميع الكائنات كل ذلك مخلوق، والله تعالى **هو وحده الخالق**، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ** ﴾ [فاطر/ ٣]، وقال سبحانه: ﴿ **ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ** ﴾ [غافر/ ٦٢].

الله الخالق وللعباد الكسب

الله تعالى هو الخالق للعباد، وهو الخالق أيضاً لأعمال العباد.

لكن من حكمة الله تعالى أنه خلق الإنسان وجعل له إرادةً واختياراً يتمكن بهما مِنْ كسب الإيمان والطاعات، والله تعالى يثيبه عليها، وَمِنَ اكتساب الكفر والسيئات ويستحقُّ العقوبة عليها.

فأفعالُ العباد تُنْسَبُ إلى الله خلقاً، وتُنْسَبُ إلى العباد كسباً.

اختيارنا في الأمور التكليفية من البديهيات

اختيار الإنسان من أوضح الحقائق، بل هو من البديهيات يلمسه كل عاقل من نفسه، ويدرك أنه مختار عندما

يتوضأ أو يسبّح الله أو يدفع الزكاة، وكذلك عندما يسرق أو يسب أو يغتاب [1] .

الله العليم الحكيم

الله عليم: لا يخفى عليه شيء في الدنيا ولا في الآخرة، لا يعزب عن علمه مثقال ذرة، يعلم السر وأخفى، يعلم ما كان وما يكون.

وهو الحكيم في خلقه: خلق كل شيء فقدره تقديراً وأحسن كل شيء خَلَقَهُ.

وهو الحكيم في أمرِه ونهيِه، وفي تشريعه أَمَرَ عبادَه ونَهَاهُمْ رحمةً لهم وشرع لهم ما فيه صلاحهم في الدنيا والآخرة.

وتشريعه أكملُ التشريع وأحكَمُهُ؛ فهو الأعلم بطبائع العباد وبما يناسبهم وبما ينفعهم أو يضرهم.

- ﴿ **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** ﴾ [سبأ / ٣].

---

(١) وسيأتي تفصيل هذا في بحث القدر إن شاء الله تعالى.

- ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة/ ٧].

- ﴿ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ﴾ [الأنعام/ ٥٩].

﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك/ ١٣-١٤].

الله هو الغني الحميد

كل مخلوق محتاج مفتقر إلى الله تعالى، أمَّا اللهُ تعالى فلا يحتاج إلى شيء.

وهو الغني عن كل ما سواه؛ إذ كل ما سواه مخلوق ومفتقر إليه، وهو الغني عن طاعة عباده، لا تنفعه طاعتهم ولا تضره معاصيهم، وما كلفهم بما أمرهم به وبما نهاهم عنه إلا لمصالحهم.

وهو الحميد الذي اتصف بكل كمال يليق به، وأسبغ على عِبَادِهِ نِعَمَهُ ظاهرةً وباطنةً، وكلُّ كمالٍ وفضلٍ راجعٌ إليه، ولذلك كان رسول الله ﷺ يهلل بعد كل صلاة: « **لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَلَا نَعْبُدُ إِلَّا إِيَّاهُ لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الْفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ** » [مسلم / ٥٩٤].

قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللهِ وَاللهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ** ﴾ [فاطر/١٥-١٧].

ومما يبين هذا المعنى الحديث القدسي التالي: « **يَا عِبَادِي لَوْ أَنّ أَوّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي لَوْ أَنّ أَوّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئاً، يَا عِبَادِي لَوْ أَنّ أَوّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمّا عِنْدِي إِلاّ كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ** ».[مسلم/ ٢٥٧٧]

الله هو الحي القيوم

هو الحيُّ الذي لا يموت، وَهَبَ الحياةَ لجميع الأحياء.

وهو القَيُّومُ، يتصرفُ في كل شيء من الكون، يرزقه ويدفع عنه ويكلؤُه ويحفظُه ويُدَبِّرُ أمرَه، قال تعالى: ﴿ **اللّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ** ﴾ [البقرة/ ٢٥٥].

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: « **اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ....** » [البخاري / ١٠٦٩ومسلم / ٧٦٩] **القَيُّومُ والقَيِّمُ بمعنىً واحدٍ.**

الله هو الغفور الرحيم

هو الغفور، وَسِعَتْ مغفرتُه جميعَ الخلق، يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، وَيَقْبَلُ توبة التائبين، من الكافرين ومن عُصَاةِ المؤمنين، مهما عظمت ذنوبُهم، وفي الحديث القدسي: « **يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلاَ أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلاَ أُبَالِي** » [الترمذي: ١٨٧٨] ، ومن الآيات في ذلك: ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾ [الزمر /٥٣].

وهو الرحيم، **وسعت رحمتُه كلَّ شيء، يرحم عباده في الدنيا، ورحمتُه في الآخرة أعظمُ، قال تعالى:** ﴿ وَرَحْمَتِي

وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأعراف/١٥٧].

- ﴿ **وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ **[الأنعام ٥٤].**

الله سميع بصير

كما آمَنَّا أن الله بكل شيء عليم فإنَّنا نؤمن أن الله تعالى **سميع بصير**، وكما لا يَعْزُبُ عن علمه مثقال ذرة، فكذلك لا يعزب عن سمعه وبصره مثقالُ ذرة، قال تعالى: ﴿**مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ** ﴾.

[لقمان ٢٨].

- ﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى * قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه ٤٥ -٤٦].

من صفات الله تعالى الكلام

ومن صفات الكمال التي تليق بعظمة الله تعالى صفة الكلام.

قال تعالى: ﴿ **وَكَلَّمَ اللّهُ مُوسَى تَكْلِيماً** ﴾ [النساء/ ١٦٤].

عن عدي بن حاتم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ اللَّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلاَّ مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إِلاَّ النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ؛ فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**».

[البخاري ٧٠٧٤/ ومسلم / ١٠١٦]

الله تعالى هو الأول والآخر

هو الأول فليس قبله شيء، **وهو الآخر** فليس بعده شيء.

قال تعالى: ﴿ **هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ **[الحديد/٣]**، وكان رسول الله ﷺ يناجي ربه إذا أوى إلى فراشه فيقول: «**اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبَّ الأَرَضِينَ، وَرَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ.... أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيءٌ وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيءٌ** » **[مسند أحمد ٢ / ٥٣٦ ومسلم/ ٢٧١٣]**.

الله ليس كمثله شيء

الله تعالى متصف بصفات الكمال التي تليق بعظمته، لكنَّ معرفتَنا لصفاته تعالى لا تُشْبِهُ معرفتَنا لصفاتِ الخلق؛ فصفات العظمة التي تليق به سبحانه فوق ما يتصور المتصورون.

والخلقُ كلهم عاجزون عن تَصَوُّرِ عظمته، ومعرفةِ حقيقة صفاته، قال تعالى: ﴿ **مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ** ﴾ [الحج/ ٧٤] وقال سبحانه: ﴿ **يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً** ﴾ [طه/ ١١٠].

فالله سبحانه لا يشبه شيئاً ولا يُشْبِهُهُ شيء، وكذلك صفاتُه تعالى؛ فعلمه وقدرته وسمعه وبصره وكلامه ورحمته وحكمته ورضاه وغضبه وغيرُ ذلك من الصفات التي جاءت في القرآن الكريم وفي السنة كلُّ ذلك لا يُشْبِهُ شيئاً من صفات المخلوقات، قال الله تعالى: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ** ﴾ [الشورى/ ١١].

الإيمان بكل ما جاء في القرآن والسنة من صفات الله تعالى

ونكتفي في هذه الرسالة بما تقدم ذكره من تفصيلٍ في صفاتِ الله تعالى، وقد جاء في القرآن والسنة وصف الله تعالى بصفات أخرى نؤمن بها.

ونبني إيماننا بها على الأسس القويمة التي تقدمت معنا وهي :

١- نثبت ما ثبت بالوحي الإلهي وننفي ما نفاه.

٢- نُنَزِّهُ اللهَ تعالى عن المشابهة لصفات المخلوقات.

٣ — نؤمن بأننا عاجزون عن معرفة حقيقة صفاته.

٤ – نعتمد على منهج القرآن، لا على طريقة الفلاسفة.

٥ – نَتْرُكُ الخوضَ في تفسير أو تأويل صفات الله تعالى.

صلاح القلوب والأعمال من الإيمان

هذا الذي تقدم معنا من أبحاث الإيمان بالله تعالى مُتَعَلِّقٌ بالجانب العقلي، الذي هو أساس الإيمان.

ومع هذا الجانب العظيم **لا بد للمؤمن الموفق من الاهتمام بجانبين عظيمين من ديننا:**

أولهما الجانبُ القلبيُّ، والثاني الجانبُ السلوكيُّ العمليُّ.

والثاني لا يصلح إلا بصلاح الأول، قال ﷺ : « **أَلاَ وَإِنَّ فِي الجسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ الْقَلْبُ** » **[البخاري /٥٢ مسلم / ١٥٩٩]**.

وينبغي أن نتذكر أنه يدخل في الإيمان أمور قلبية وسلوكية كثيرة تُعتبَر شُعَباً للإيمان، وأنه لا يكمل إيماننا إلا بها، قال النبي ﷺ : « **الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ** ».

[البخاري / ٩ ومسلم/ ٣٥]

ومن هذه الشعب ما ذكره الله تعالى في الآيات التالية:

﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ** ﴾ [الأنفال/٢-٤].

والموفقون مَنْ يكرمهم الله بالتحقق بهذه الشعب؛ فمن أهم ما نحرص عليه أن نسعى مستعينين به في تنوير قلوبنا بِشُعَبِ الإيمان.

ومما يعين على ذلك بَعْدَ الحرص عليه والاستعانة بالله تعالى تَدَبُّرُ القرآن الكريم وما فيه من أنوارِ أسماء الله تعالى وصفاته، والعِبَرِ المأخوذة من قصصه، ومن آياته المتعلقة بعوالم الآخرة، مع سقاية القلوب بالأذكار والأدعية التي سُقِيَتْ بها قلوب السابقين الأولين، مع النظر في سيرة رسول الله ﷺ وسيرة أصحابه رضي الله عنهم والتابعين والعلماء العاملين الربانيين في حياتهم العامة، وفي أحوالهم المتعلقة بصلاح بَوَاطِنهم وحُسْنِ عبادتهم.

الإيمان بأن محمداً ﷺ رسول الله

هذه هي العقيدةُ الثانيةُ التي لا يصح الدخول في الإسلام إلا بها، وكما بَنَيْنا عقيدةَ (**لا إله إلا الله**) على الدليل والبرهان فكذلك العقيدةُ الثانية (**محمد رسول الله**).

من دلائل نبوة سيدنا محمد ﷺ

دلائل نبوة سيدنا محمد ﷺ أكثر من أن تُحصر منها:

١- سيرتُه قبل النبوة ٢- سُمُوُّ وكمالُ العقيدة التي جاء بها ٣- سُمُوُّ وكمالُ التشريع الذي جاء به ٤- المعجزاتُ الكثيرة التي أيَّدَهُ الله بها وشاهدَها أهلُ عصره، فعرفوا بها نبوته، وأيقنوا أنه رسول الله ﷺ، وعَرَفَها من جاء بعد ذلك العصر مما ثبت في الصحيحين وغيرهما.

من معجزات نبينا محمد ﷺ

الإسراء والمعراج ومن هذه المعجزات ما أكرمه الله تعالى به حيث أُسْرِيَ به من المسجد الحرام في مكة إلى المسجد الأقصى، ثم عُرِجَ به ﷺ إلى السماوات العُلى ثم إلى سدرة المنتهى، قال تعالى: ﴿ **سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ** ﴾ [الإسراء : ١]

.

وقال سبحانه: ﴿ **وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى* ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى** ﴾ [النجم ١-١٨].

وقد ذَكَرَ النبي ﷺ الإسراء والمعراج في أحاديث كثيرة منها قوله ﷺ : ((.... **ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ**..... ثم ذكر ﷺ بقية السماوات ومَنْ لَقِيَهُم مِنَ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والبيتَ المعمور وسدرةَ المنتهى، وذكر أن الله فرض خمسين صلاة في كل يوم وليلة فسأل الله تعالى التخفيف فاستجاب وقال له: **يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً**)) [البخاري/٣٠٣٥ ومسلم / ١٦٤].

معجزة القرآن الكريم

وأعظم معجزاته ﷺ القرآن الكريم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنْزيل من حكيم حميد، وهو المعجزة الدائمة المنتشرة، لا يَحُدُّها زمان ولا مكان، تتضمن وجوهاً من الإعجاز، تناسب كلَّ الناس على اختلاف خصوصياتهم ومعارفهم.

وجوه من إعجاز القرآن

وجوه إعجاز القرآن الكريم كثيرة ومتنوعة، ومنها:

١- أسلوبه الفريد المرتبط بأعلى درجات الفصاحة والبلاغة.

٢- إخباره بالْمُغَيَّبات الماضية مع تفصيلها وبيانها.

٣- إخباره بالْمُغَيَّبات المستقبلة، ومن هذه الغيبيات عجز البشر عن الإتيان بسورة من مثله.

٤- إعجازه العلمي

ووجه الإعجاز العلمي يناسب هذا العصر وما بعده أكثر من العصور الماضية؛ لأنَّ هذا الوجه تتجدد فيه الآيات كلما زاد التطور في التقدم العلمي، كما بين القرآن الكريم في قوله عز وجل:

﴿ **سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ **[فصلت : ٥٣]**.

ويظهر هذا الإعجاز العلمي في جانبين:

آ- استحالة وجود آية قرآنية تتعارض مع أيَّةِ حقيقة علمية صحيحة (١).

ب- ظهور حقائق علمية لم يعرفها الإنسان في الأزمنة السابقة، وجدها الإنسان ظاهرة في آيات القرآن واضحة بتدبر

---

(١) ومَنْ وجد شيئاً يظنه معارضاً لآية قرآنية فهو إما جاهل بالآية، وإما جاهل بالقضية العلمية، وهذه الاستحالة مَرَدُّها إلى أن مُنَزِّلَ القرآن هو خالق هذه الأكوان يُرِي الناسَ من آياته فيها ما يشاء، وهو الأعلم بما خلق، فلا يمكن أن يُنْزِلَ آيةً قرآنية تتناقض مع علمه عز وجل.

فالذي يفهم من قوله تعالى: ﴿ **الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء** ﴾ **[البقرة/ ٢٢]** ما ينافي كروية الأرض فقد فهم الآية على غير حقيقتها.

والذي فهم من قول علماء الفلك: (**الشمسُ لا تدور حول الأرض، بل الأرض تدور حولها**) أنَّ الشمس ثابتة لا تتحرك فقد فهم القضية على غير حقيقتها .

القرآن؛ فمن أين أتى بها النبي ﷺ لو لم تكن من عند الله تعالى؟ (١).

الركن الثاني الإيمان بالملائكة

ومما جاء به ﷺ أن نؤمن بالملائكة، قال تعالى: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ [البقرة / ٢٨٥].

والإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان الْمُبَيَّنَةِ بقوله ﷺ: « **أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ** » [مسلم / ٨].

وهم مخلوقات نورانية خلقهم الله تعالى من نور، كما خلق الله الإنسانَ من طين، والجنَّ من نار، قال ﷺ : «

---

(١) من أمثلة هذا الجانب اكتشـــاف كروية الأرض الموافق لقوله تعالى: ﴿ **يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ** ﴾ [**الزمر/ ٥**] وأنَّ الإنســان كلما ارتفع في طبقات الجو العليا شـعر بضـيق الصـدر موافقاً لقوله تعالى: ﴿ **وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِـلَّهُ يَجْعَلْ صَـدْرَهُ ضَـيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّـعَّدُ فِي السَّـمَاءِ** ﴾ [**الأنعام/ ١٢٥**] ومن أراد المزيد من هذه الأمثلة فإنه يجدها في **كتب هارون يحيى التركي، وكتب زغلول النجار المصري.**

خُلِقَتِ الْمَلاَئِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمّا وُصِفَ لَكُم)). **[مسلم / ٢٩٩٦]**

وإيماننا بالملائكة من جوانب الإيمان بالغيب، الذي نؤمن به إجمالاً في المجمل، وتفصيلاً في المفصل.

ومن هؤلاء الملائكة جبريل المكلف بإنزال الوحي، قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴾. [الشعراء/١٩٣ -١٩٤]

ومنهم الموكلون بحفظ الإنسان، قال تعالى: ﴿ **لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللّهِ** ﴾ **[الرعد/ ١١]** أي يحفظونه بأمر من عند الله.

ومنهم الملائكة الموكلون بقبض الأرواح عند حلول الآجال، قال تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ** ﴾ **[الأنعام/ ٦١]** .

ومنهم الملائكة الموكلون بمراقبة وكتابة أعمال العباد قال تعالى: ﴿ **وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ** ﴾ **[الانفطار/ ١٠- ١٢]**.

ومنهم الموكلون في نار جهنم، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ** ﴾. **[التحريم ٦]**

ومنهم الموكلون بحضور مجالس الخير قال ﷺ: ((**إِنَّ لِلَّهِ مَلاَئِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا هَلُمُّوا إِلَى حَاجَتِكُمْ، قَالَ فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا... هُمُ الْجُلَسَاءُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ**)). **[البخاري /٦٠٤٥ مسلم/ ٢٦٨٩]**

وللملائكة صفات وأحوال كثيرة مذكورة في القرآن الكريم، وفي سنة النبي ﷺ نؤمن بها تفصيلاً في المفصل، وإجمالاً في المجمل.

ونؤمن بكل ما جاء به الوحي من أمور الغيب الإلهيُّ، تفصيلاً في المفصل، وإجمالاً في المجمل.

ولا ينبغي أن نخوض باجتهادنا وأوهامنا في تفصيل أمورهم، ولا في أمور الغيب الأخرى كالروح وكيفية كتابة الملائكة لأعمالنا وكيفية الوزن يوم القيامة؛ لأنه ليس عندنا أسسٌ نبني عليها اجتهادنا فيها، ولولا أنَّ الوحي الإلهي جاء بهذه المغيبات ما أثبتنا وما نَفَيْنا ﴿ **وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ** ﴾ **[الإسراء/ ٣٦]**.

وترك الخوض في هذه الأمور من العافية في ديننا ومن أسباب السلامة عند الله تعالى، وهو من المنهج العلمي اللائق بكرامة الإنسان.

الركن الثالث الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام

ومما جاء به نبينا ﷺ أن نؤمن بجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام؛ فقد أرسل رسلاً إلى كل الأمم السابقة، ولكنه سبحانه لم يذكر لنا جميع الرسل، فنؤمن بهم تفصيلاً فيمن فصَّلهم الله علينا، وإجمالاً فيمن لم يفصِّلهم [1] قال تعالى: ﴿ **إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ** ﴾ [فاطر/ ٢٤].

وقال سبحانه: ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ** ﴾ [غافر/ ٧٨].

لا يُقبل الإيمانُ بالله تعالى إلا مع الإيمان بجميع الرسل

لا يقبل الله تعالى الإيمانَ به إلا مع جوانب الإيمان الأخرى، ومنها الإيمان بجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام.

---

(١) من المفيد أن نمسك عن الخوض والجدل في إثبات نبوة أحد غير المذكورين في القرآن والسُّنَّة أو في نفيها، لأننا لا نستطيع أن نثبت النبوة لأحد ولا أن ننفيها عن أحد إلا بعلم مُسْتَنِدٍ إلى الوحي الإلهي.

ولذلك كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يدعون إلى الإيمان بالأنبياء السابقين، ويأخذون العهد على أتباعهم أن يؤمنوا بالأنبياء الذين يأتون من بعدهم وأن ينصروهم.

قال تعالى: ﴿ **وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ [آل عمران/ ٨١].

فلا بد لمن يريد الإيمان الذي يُقْبَلُ عند الله تعالى من الإيمان بآدمَ ومحمدٍ ومن بينهما من الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ولو أنَّ إنساناً ادعى الإيمان بجميع جوانب الإيمان ولم يؤمن بعيسى أو موسى أو سليمان أو محمد عليهم الصلاة والسلام فهو عند الله تعالى كافر لا يقبل الله تعالى منه فرضاً ولا نفلاً؛ لأن الإيمان عند الله تعالى كلٌّ لا يتجزأ، إذا ذهب جزؤه ذهب كله [١].

(١) أما الجانب العملي فالأمر مختلف فمن أفطر يوماً من رمضان دون عذر فلا يبطل صيامُه بقيةَ الشهر، ولا تبطل صلاته.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً * أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا * وَالَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُواْ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُوْلَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء ١٥٠-١٥٢] .

دين الأنبياء دينٌ واحد

لا يختلف في أمور العقيدة، ولا في الأوامر والنواهي الأساسية

وقد بين النبي ﷺ ذلك بقوله: ((**أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ وَالْأَنْبِيَاءُ أَوْلادُ عَلَّاتٍ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ**)).

[البخاري/ ٣٢٥٩ ومسلم/ ٢٣٦٥]

وأولاد العلات هم الأخوة من جهة الأب فقط، أبوهم واحد من أمهات مختلفة.

والمعنى: أنَّ عقائد الأنبياء وشرائعَهم واحدة متفقة من حيث الأصول وإن اختلفت الشرائع من حيث بعضُ الفروع.

فأمور العقيدة وأمور التشريع الأساسية واحدةٌ لا تختلف، جاء بها كل الرسل عليهم الصلاة والسلام، قال تعالى: ﴿ **شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا**

إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى/ ١٣].

وقال سبحانه: ﴿ **إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** ﴾ [النحل/٩٠].

أما فروعُ الشرائع كتفصيل العبادات وبعض أحكام المعاملات فقد تختلف، قال تعالى: ﴿ **لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا** ﴾ [المائدة/ ٤٨].

محمدٌ ﷺ خاتم النبيين لا نبي بعده

نبيُّنا محمد ﷺ آخرُ الأنبياء لا نبيَّ بعده، ومن ادَّعى النبوةَ بعده ﷺ أو آمن بِنَبِيٍّ بعده فهو مكذبٌ للقرآن، مكذبٌ للنبي ﷺ كافرٌ به.

قال تعالى: ﴿ **ما كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا** ﴾ [الأحزاب/ ٤٠].

وقال ﷺ: ((**كَانَتْ بَنُو إسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبِيَاءُ، كُلّمَا هَلَكَ نَبِيّ خَلَفَهُ نَبِيّ، وَإنّهُ لاَ نَبِيّ بَعْدِي**)) [البخاري/ ٣٢٦٨ ومسلم / ١٨٤٢].

وقد أخبر النبي ﷺ بأن بعض الكذابين سَيَدَّعون النبوة بعده، فقال: ((**وإنَّهُ سيكُونُ في أُمَّتي ثلاثُونَ كذَّابونَ**

كلُّهُم يزعُمُ أنَّهُ نَبيٌّ وأنا خاتمُ النَّبيّينَ لا نَبيَّ بَعدي)) [أبو داود/ ٤٢٥٢ الترمذي/ ٢٢١٩ وصححه].

نبينا محمد ﷺ بَشَّرَ به الأنبياء السابقون عليهم الصلاة والسلام

نبينا محمد ﷺ بَشَّرَ به الأنبياء السابقون عليهم الصلاة والسلام، وآخر من بشر به عيسى ﷺ قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [الأعراف/ ١٥٦ –١٥٧].

وقال سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [الصف/ ٦].

عموم رسالة النبي محمد ﷺ

أرسل الله تعالى نبينا محمداً ﷺ لكل الناس، ولجميع الشعوب، في عصره ﷺ وما بعده من العصور، ومن الآيات الدالة على ذلك: قوله تعالى: ﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا** ﴾ [سبأ ٢٨]، وقوله سبحانه: ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً** ﴾ [الفرقان/ ١].

شريعته ﷺ ناسخة لما خالفها من الشرائع السابقة

ويلزم من عموم رسالته ﷺ أن شريعته ﷺ ناسخةٌ لِمَا يخالفها من الأحكام الشرعية السابقة؛ لأنه يلزم من أنه خاتم النبيين ومن أنَّ رسالته عامة لكل الناس أن يتبع الناس شريعته ﷺ ويتركوا ما يخالفها مما كان قبلها، وكما لا يقبل الله من أحد إيماناً إلا مع الإيمان به، كذلك لا يقبل من أحد عملاً إلا ما وافق شرعه ﷺ .

عصمة الرسل عليهم الصلاة والسلام من المعاصي

ومن صفات الرسل عليهم الصلاة والسلام العصمة من المعاصي، وذلك لأن الله تعالى أمرنا بالاقتداء بهم، قال الله تعالى: ﴿ **أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ** ﴾ [الأنعام/ ٩٠].

وقال سبحانه: ﴿ **لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ **[الأحزاب/ ٢١]** فلو صدرت منهم المعاصي لكنا مأمورين بها والله تعالى ينهى عن المعاصي ولا يأمر بها.

وما ورد من ذكر ذنب لبعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ليس على ظاهره، كما جاء في حديث الشفاعة: ((فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ... إِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلاَثَ كَذَبَاتٍ نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى))
[البخاري / ٤٤٣٥ومسلم / ٣٢٧].

فإطلاقه الكذب على الأمور الثلاثة إذا حُقِّقَ لم يكن كذباً؛ لأنه من باب المعاريض المحتمِلة للأمْرَيْنِ؛ فليس بكذب محض (١). [انظر فتح الباري ٦/ ٣٩١]

وقال بعض العلماء ما ورد من ذكر ذنب لبعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يُؤَوَّلُ ذلك على ترك الأولى، وسميت ذنوباً لعظم مقدارهم كما قال بعضهم: حسناتُ الأبرار سيئات المقربين. **[انظر عمدة القاري شرح البخاري ٧/ ١٨٠]**.

---

(١) هي قوله: ﴿ **إِنِّي سَقِيمٌ** ﴾ وقوله: ﴿ **بلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا**﴾ وقوله عندما سأله جبار من الجبابرة عن زوجته سارة قال: **أختي [البخاري / ٣١٧٩]**.

لا عصمة لغير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

وقد ضل بعض الناس فاعتقدوا العصمة في غير الأنبياء من الصالحين، أو من المتظاهرين بالصلاح، وقد ضلوا بهذا عن صراط الله المستقيم وأضلوا، وليس عندهم دليل يصح أن يعتمد عليه.

الصحابة ﷺ خيرُ هذه الأمة لم يَدَّعِ أحدٌ منهم لنفسه عصمة. ولم يدع أحد منهم لغيره عصمة، كانوا يجتهدون في استنباط الأحكام، ويعملون بهذا الرأي أو ذاك، ولا ينكر أحد الاجتهاد على أحد ولو خالف في اجتهاده أحدَ الخلفاء الراشدين ﷺ ، وقد تواتر أن فقهاء الصحابة ﷺ اختلفت اجتهاداتهم في كثير من المسائل.

معجزات الرسل عليهم الصلاة والسلام

وقد أيد الله تعالى الرسل عليهم الصلاة والسلام بالمعجزات.

والمعجزة أمر يُجْرِيهِ اللهُ على أيدي الأنبياء خارقٌ للقوانين العامة التي أجراها الله في هذا الكون مما لا يكون في قدرة البشر(١).

(١) في آخر الكتاب ملحقٌ مهم عن الأمور التي تتعلق بالأولياء والكرامات.

فقد أجرى الله تعالى في طبع الماء الرقةَ، والسيلانَ من الأعلى إلى الأسفل، وعندما سار موسى ﷺ ومن معه وتبعهم فرعون بجنوده، أمر الله تعالى موسى ﷺ فَضَرَبَ بعصاه البحر فانفلق الماء، حتى إذا خرج موسى ﷺ ومن معه إلى البَرّ أعاد الله تعالى الماء إلى طبيعته العامة السابقة، وأغرق الله تعالى فرعون وجنوده، قال تعالى: ﴿ **فَلَمَّا تَرَاءى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ * فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ * وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَن مَّعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ** ﴾ [الشعراء /٦١-٦٦] .

وكذلك أيَّدَ الله تعالى رسوله إبراهيم ﷺ فَغَيَّرَ من طبع النار التي أَلْقَوْهُ فيها وجعلها عليه برداً وسلاماً كما أخبرنا الله تعالى: ﴿ **قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلَاماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ * وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ** ﴾ [الأنبياء / ٦٦ – ٧٠].

الركن الرابع الإيمان بجميع الكتب السماوية

ونؤمن بالكتب والصحف التي أنزلها الله تعالى على هؤلاء الرسل عليهم الصلاة والسلام، قال سبحانه وتعالى: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ [البقرة/ ٢٨٥].

وهذا الجانب الإيماني جانبٌ أساسيٌّ، وهو من الأركان أيضاً، فعندما سُئل رسول الله ﷺ عن الإيمان قال: « **أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ** » [مسلم / ٨] .

فنؤمن بما أنزل من الصحف على إبراهيم وموسى، ﴿**إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى** ﴾ [الأعلى/ ١٨ – ١٩].

ونؤمن أن الله أنزل التوراةَ على موسى والإنجيلَ على عيسى والزبورَ على داود والقرآنَ على محمد عليه وعليهم الصلاة والسلام.

قال عز وجل: ﴿ **نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ** ﴾ [آل عمران/ ٣-٤] وقال سبحانه: ﴿ **وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا** ﴾ [الإسراء / ٥٥].

القرآن الكريم محفوظ قد تكفل الله تعالى بحفظه

القرآن الكريم آخر الكتب، وهو مُرْسَلٌ للناس جميعاً، إلى يوم القيامة، وقد تكفل الله بحفظه، ليبقى مناراً للناس إلى يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** ﴾ [الحجر/ ٩].

وقال سبحانه: ﴿ **وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ [فصلت /٤١-٤٢] .

ومن ادعى أنَّ القرآن قد تغير، زاد أو نقص أو حُرِّف أو بُدِّلَ منه شيءٌ فقد كَذَّبَ القرآنَ الكريم ومن كَذَّب القرآن فهو كافر.

الركن الخامس الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان التي ذكرها النبي ﷺ بقوله: بقوله: « **أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ** » [مسلم / ٨] .

وهو اليوم الذي يحيي الله فيه الموتى ويبعثهم من قبورهم ويحشرهم للحساب والجزاء، ويُجازَونَ بحسناتهم وسيئاتهم وإن كانت مثقال ذرة، ويأخذ فيه المظلومُ حَقَّهُ ﴿ **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَراً وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ**

أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ ﴾ [آل عمران/٣٠].

اليوم الآخر من مظاهر حكمة الله تعالى

من آمن أنَّ الله فعالٌ لما يريد، وهو على كل شيء قدير، ورأى أعمال المفسدين، وظُلم أهل الشر والفساد، وضياع حقوق المظلومين، وكان غافلاً عن الآخرة فإنه لا تظهر له حكمة الله تعالى، ويتوهم أن هذه الحياة كأنها عبثٌ لا حكمة فيه.

ولكن إذا ربط ذلك بما سيكون في الآخرة من الحساب والجزاء، بحيث لا يضيع فيه مثقال ذرة من الخير ولا من الشر عَرَفَ جانباً عظيماً من حكمة الله تعالى وَيَبْعُدُ عنه تَوَهُّمُ العبث، قال تعالى: ﴿ وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ ﴾ [إبراهيم/٤٢] وقال سبحانه وتعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ * فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴾.
[المؤمنون / ١١٥و ١١٦]

وقت يوم القيامة لا يعلمه إلا الله تعالى

وقت يوم القيامة لا يعلمه إلا الله وحده، قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾ [لقمان/٣٤] وقال سبحانه:

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف/ ١٨٧].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: « وَلاَ يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلاَّ اللَّهُ »(١) [البخاري / ٤٤٢٠].

حياة البرزخ نعيماً أو عذاباً

يُحيِي اللهُ الإنسان بعد الحياة الدنيا وقَبْلَ يومِ القيامة.

وهذه حياة برزخية، يكون الإنسان فيها منعماً أو معذباً، وهذه الحياة من أمور الغيب التي نؤمن بها إيماناً غيبياً؛ لثبوتها بالوحي الإلهي وإن كنا نجهل حقيقتها قال تعالى: ﴿ فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ

(١) قد ضلَّ في عصرنا أناس، لهم وَلَعٌ بتحريف معاني القرآن والسنة، وبالطعن في الأحاديث الصحيحة، يتبعون ما تشابه من القرآن ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله مبتعدين عن المنهج العلمي، يزعمون أن لهم طريقة لفهم القرآن ترتبط بأسرار وأرقام زعموها لكل حرف من حروفه، ومما بَنَوهُ على ضلالتهم أنهم عرفوا العام الذي ينتهي فيه العالم، وهم بذلك يُكَذِّبون القرآن وأحاديث النبي ﷺ

* النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر/ ٤٥-٤٦].

وجاء في ذلك أحاديثُ كثيرةٌ منها: قوله ﷺ: ((إِنّ أَحَدَكُمْ إِذَا مَاتَ عُرِضَ عَلَيْهِ مَقْعَدُهُ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيّ. إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجَنّةِ، فَمِنْ أَهْلِ الْجَنّةِ. وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ النّارِ، فَمِنْ أَهْلِ النّارِ. يُقَالُ: هَذَا مَقْعَدُكَ حَتّىَ يَبْعَثَكَ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)) [البخاري/ ١٣١٣مسلم/٢٨٦٦].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مر النبي ﷺ بقبرين فقال: ((إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ، أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ)). [البخاري/ ٢١٥ ومسلم/٢٩٢]

فتنة القبر (البرزخ)

ومن أمور الغيب الثابتة بالوحي فتنةٌ في الحياة البرزخية بعد الموت، تسمى فتنة القبر، يُسأل فيها العبد عن ربه تعالى وعن دينه وعن نبيه ﷺ نَسألُ الله تعالى أن يثبتنا وأن يلقنا حجتنا.

ففي الصحيحين عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : ((إِذَا تَشَهّدَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يَقُولُ: اللّهُمّ إِنّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنّمَ، وَمِنْ عَذَابِ

الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدّجّال » [مسلم / ٥٨٨].

وعن البراء ﷺ عن النبي ﷺ في قول الله: ﴿ **يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ** ﴾ قال: « **فِي الْقَبْرِ إِذَا قِيلَ لَهُ مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ ؟** ». [الترمذي وصححه / ٣١٢٠]

حياة الشهداء

ومما يتعلق بحياة البرزخ ما أكرم الله تعالى به الذين بذلوا أرواحهم في سبيل الله تعالى فجعلهم عنده بعد موتهم وقبل يوم القيامة أحياءً منعمين مرزوقين، قال تعالى: ﴿ **وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [آل عمران/ ١٦٩ – ١٧١]

وقال ﷺ : « **مَا مِنْ عَبْدٍ يَمُوتُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ، يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا، وَأَنَّ لَهُ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، إِلاَّ الشَّهِيدَ؛ لِمَا يَرَى مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ، فَإِنَّهُ يَسُرُّهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الدُّنْيَا فَيُقْتَلَ مَرَّةً أُخْرَى** ». [البخاري / ٢٦٤٢ومسلم / ١٨٧٧]

يوم القيامة يحيي الله الموتى ويبعث من في القبور

وفي يوم القيامة يُحيي الله الموتى ويبعث من في القبور، وذلك عند النفخة الثانية في الصور، أما النفخة الأولى فيموت فيها أهل الأرض وأهل السماء، قال تعالى: ﴿ **وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاء اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ** ﴾ [الزمر/ ٦٨].

وقال تعالى: ﴿ **زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ** ﴾ [التغابن/ ٧].

كروبُ وشدةُ أهوال يوم القيامة

ومما يكون في يوم القيامة وجود عذاب وكروب وأهوال نسأل الله تعالى أن ينجينا، والآيات والأحاديث في ذلك كثيرة جداً.

منها قوله تعالى: ﴿ **فَإِذَا جَاءتِ الصَّاخَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ** ﴾ [عبس/ ٣٤- ٣٧].

وقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا**

أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ﴾ [الحج/ ١- ٢].

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: ((**تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلاً** (١) **قَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟ فَقَالَ: الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ**)) **وفي رواية:** ((**الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ**)).[البخاري / ٦١٦٢ ومسلم / ٢٨٥٩]

الناجون من أهوال يوم القيامة

ويكرم الله تعالى عباده المرضيين بالأمن يوم القيامة، ويظلهم في ظلّ عرشه، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَن يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِناً يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ **﴾** [فصلت/ ٤٠]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ((**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ إِمَامٌ عَدْلٌ وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي الْمَسَاجِدِ وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ**

---

(١) (غُرْلاً) جمع أغرل وهو الذي لم يختن، والمعنى أنهم يحشرون كما خلقوا لم يفقد منهم شيء، وليس معهم شيء.

وَجَمَالٍ فَقَالَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ)) [البخاري / ٦٢٩ ومسلم/ ١٠٣١].

ومن الناجين من أكرمهم الله تعالى بخشيته والتضرع إليه في الدنيا، قال الله تعالى: ﴿ **وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ * قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ * فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ * إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ** ﴾ [الطور/ ٢٥-٢٨]

وفي الحديث القدسي: ((**وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ، إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ القِيامَةِ وإذا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيا أَخَفْتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**)) [ابن حبان بسند حسن / ٦٤٠].

الشفاعة العظمى

ويكرم الله تعالى نبينا محمداً ﷺ وأمته بشفاعته العظمى في إراحة أهل الموقف يوم القيامة، وهي المقام المحمود، وذلك عندما يأتي الناس آدم ثم نوحاً ثم إبراهيم ثم موسى ثم عيسى عليهم الصلاة والسلام فيعتذرون ثم يأتون محمداً ﷺ فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فيسجد تَحْتَ الْعَرْشِ وَيَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا مَا لَمْ يَفْتَحْهُ

عَلَى أَحَدٍ قَبْلَه، قال عليه الصلاة والسلام: « **ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهْ وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنْ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ الْأَبْوَابِ، ثُمَّ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى** » [البخاري / ٤٤٣٥ ومسلم/ ١٩٤] .

للنبي ﷺ شفاعات أخرى

منها إدخال أناس إلى الجنة وإخراج أناس من النار، وقد ذكر ذلك ضمن أحاديث الشفاعة العظمى، قال النبي ﷺ: « ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا فَأُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُهُمُ الجَنَّةَ » [البخاري / ٦١٩٧ ومسلم/ ١٩٣]

شفاعاتٌ في الآخرة لغير نبينا ﷺ

وتكون في الآخرة شفاعاتٌ غيرُ الشفاعة العظمى، منها الشفاعة في إخراج عصاة الموحّدين من النَار، وهذه الشفاعة تُشاركه فيها الملائكة، والنبيُّون، والشهداء، والصدِّيقون، والصالحون، والمؤمنون الناجون، وقد وردت في ذلك أحاديث كثيرة.

منها ما رواه الشيخان عن أبي سعيد الخدري ﷺ أنَّ رسول الله ﷺ قال..... **حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ النَّارِ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمْ الَّذِينَ فِي النَّارِ يَقُولُونَ رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيَحُجُّونَ فَيُقَالُ لَهُمْ أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ**)) [البخاري/ ٧٠٠١ ومسلم/ ١٨٣].

وفي رواية البخاري: ((**فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِي النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ**)) .

الحساب والميزان وأخذ العباد كتبهم

ويكون يوم القيامة الحساب، والوزن، وأخذ العباد كتبهم التي كتب فيها حسناتهم وسيئاتهم، قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ * فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ * فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً * وَيَنقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُوراً * وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاء ظَهْرِهِ * فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً * وَيَصْلَى سَعِيراً** ﴾ [الانشقاق/ ٦-١٢].

وقال سبحانه: ﴿ **وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ** ﴾ [الأنبياء / ٤٧].

شهادات في يوم القيامة

وتكون في ذلك اليوم بحكمة الله تعالى شهادات، فالأرض تشهد، قال تعالى: ﴿ **يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا* بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا** ﴾ [الزلزلة/ ٤-٥].

وجوارح الإنسان تشهد، وقال سبحانه: ﴿ **يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [النور / ٢٤]

وقال تعالى: ﴿ **حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ** ﴾ [فصلت/ ١٩- ٢١].

وعن أنس بن مالك ﷺ قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: ((**هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ**))؟ قال قلنا: الله ورسوله أعلم، قال ﷺ: ((**مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ يَقُولُ يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنْ الظُّلْمِ قَالَ يَقُولُ بَلَى قَالَ فَيَقُولُ فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي قَالَ فَيَقُولُ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا قَالَ فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ انْطِقِي قَالَ فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ قَالَ ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ قَالَ فَيَقُولُ بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ**)) [مسلم/ ٢٩٦٩].

حوض نبينا محمد ﷺ

ويكرم الله تعالى نبينا محمد ﷺ وأمته بالحوض، وعنده يكون اللقاء الطيب بينه ﷺ وبين أحبابه الذين عاشوا بعد عصره.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ((**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا فَلَا يَظْمَأُ أَبَداً**)).[البخاري / ٦٢٠٨ومسلم / ٢٢٩٢]

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال: ((**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا**، قالوا أولسنا إخوانك يا رسول الله ؟ **قَالَ أَنْتُمْ أَصْحَابِي وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ**، فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله ؟ فَقَالَ: **أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ**)).[مسلم/ ٢٤٩]

المرور على الصراط، وأولُ الأمم مروراً

وَيَمُرُّ الناس على الصراط فوق جهنم إلى الجنة، وأول الأمم مروراً أمة سيدنا محمد ﷺ ، وفي هذا أحاديث كثيرة، منها:

قوله ﷺ: «..... **وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَبِهِ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ مِنْهُمْ الْمُوبَقُ بِعَمَلِهِ وَمِنْهُمْ الْمُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو**» [البخاري / ٧٧٣ ومسلم / ٨٢].

وفي رواية: « **فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا** »

[البخاري/٧٠٠١ومسلم/١٨٣] .

من يدخلون الجنة بغير حساب

ومما يكون في يوم القيامة أنه يدخل الجنة أناس بغير حساب.

عن أبي حازم عن سهل بن سعد ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **لَيَدْخُلَنَّ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا أَوْ سَبْعُ مِائَةِ أَلْفٍ – لَا يَدْرِي أَبُو حَازِمٍ أَيَّهُمَا قَالَ – مُتَمَاسِكُونَ آخِذٌ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لَا يَدْخُلُ أَوَّلُهُمْ حَتَّى يَدْخُلَ آخِرُهُمْ وُجُوهُهُمْ عَلَى صُورَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ** » **[مسلم / ٢١٩]**.

وعن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال: « **وَعَدَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يُدْخِلَ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعِينَ أَلْفاً بِغَيْرِ حِسَابٍ**

وَلاَ عَذَابٍ، مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفاً، وَثَلاَثَ حَثَيَاتٍ مِنْ حَثَيَاتِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ)).[الإمام أحمد بسند حسن/ ٢٢٣٥٧]

نار جهنم ليست كنار الدنيا وعذاب أهلها متفاوت

قال رسول الله ﷺ: ((**نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ**)) [البخاري/ ٣٠٩٢ومسلم/ ٢٨٤٣].

عذاب أهلها متفاوت، والمنافقون في الدرك الأسفل: ﴿ **إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً** ﴾. [النساء/ ١٤٥]

وغير المنافقين على حسب أحوالهم وأعمالهم، عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: ((**مِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى كَعْبَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى حُجْزَتِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُهُ النَّارُ إِلَى تَرْقُوَتِهِ**)) [الإمام أحمد/٢٠١١٥ ومسلم/ ٣٨٤٥].

عذاب الكافرين في النار دائم

والكافرون في النار مخلدون عذابهم دائم ومنها لا يخرجون، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَاراً كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُواْ الْعَذَابَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَزِيزاً حَكِيماً** ﴾ [النساء/ ٥٦].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُواْ بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾ [المائدة/٣٦- ٣٧].

أهل النار يُعادِي بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من بعض

وتتحول مودة أهل الطغيان والمعاصي إلى عداوة، قال الله تعالى: ﴿الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾. [الزخرف/ ٦٧]

وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ * إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُواْ مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّؤُواْ مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾ [البقرة/ ١٦٥ – ١٦٧].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ وَبَرَزُوا لِلّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللّهِ مِن شَيْءٍ قَالُواْ لَوْ هَدَانَا اللّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاء عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ ﴾ [إبراهيم/ ٢١].

عصاة المؤمنين لا يخلدون في النار

ومما جاء به ﷺ أنَّه لا يخلد في النار أحد من عصاة المؤمنين.

عن أبي هُرَيْرَةَ عن النبي ﷺ قال: «..... **حَتّى إِذَا فَرَغَ اللهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَأَرَادَ أَنْ يُخْرِجَ بِرَحْمَتِهِ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النّارِ، أَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مِنَ النّارِ مَنْ كَانَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئاً، مِمّنْ أَرَادَ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَرْحَمَهُ، مِمّنْ يَقُولُ: لاَ إِلَهَ إِلاّ اللهُ. فَيَعْرِفُونَهُمْ فِي النّارِ. يَعْرِفُونَهُمْ بِأَثَرِ السّجُودِ. تَأْكُلُ النّارُ مِنِ ابْنِ آدَمَ إِلاّ أَثَرَ السّجُودِ، حَرّمَ اللهُ عَلَى النّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السّجُودِ. فَيُخْرَجُونَ مِنَ النّارِ وَقَدِ امْتَحَشُوا. فَيُصَبّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ. فَيَنْبُتُونَ مِنْهُ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبّةُ فِي حَمِيلِ السّيْلِ**» [البخاري /٧٧٣ومسلم / ١٨٢] .

أهل الجنة فيها خالدون، ومنها لا يخرجون

قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً * خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً** ﴾. [الكهف/ ١٠٧-١٠٨]

وقال تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَعْدَ اللّهِ حَقّاً وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً** ﴾ [النساء/ ١٢٢].

أعظم نعم الجنة رؤية الله تعالى ورضاه

وأعظم ما يكرم الله به المؤمنين في الجنة رؤيتُهم له سبحانه ورِضاهُ عنهم، قال سبحانه: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ** ﴾ [القيامة / ٢٣] .

عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ، فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا يَا رَبِّ وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَقُولُ أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدا** » [البخاري/ ٦١٨٣ ومسلم / ٢٨٢٩] .

وعن صهيب ﷺ عن النبي ﷺ قال: « **إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ** » [الإمام أحمد/ ١٨٩٦١ومسلم/ ١٨١] .

هل يرى اللهَ تعالى أحدٌ في الدنيا؟

نبي الله تعالى موسى ﷺ طلب من الله تعالى أن يراه، فلم يُعْطَ طلبه، قال عزّ وجلّ: ﴿ **وَلَمَّا جَاء مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انظُرْ**

إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً وَخَرَّ موسَى صَعِقاً فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾. [الأعراف/ ١٤٣]

أما نبينا محمد ﷺ فقد اختُلف في رؤيته لربه سبحانه، وليس في ذلك شيء قطعي، ونقل النوويُّ في شرح مسلم ٣/ ٤ قولَ القاضي عياض: ووقف بعض مشايخنا في هذا وقال: ليس عليه دليل واضح، اهـ وكذلك رجَّحَ القرطبي في المفهم قولَ الوقفِ في هذه المسألة وعزاه لجماعة من المحققين، وقواه بأنه ليس في الباب دليل قاطع، اهـ [فتح الباري٨ /٦٠٨ تفسير سورة النجم]

ويَسَعُنا في هذه القضايا أن نتوقف؛ لأننا لا نُسأل عنها يوم القيامة (١).

من ادعى رؤية الله في الدنيا فهو ضال وكاذب

من ادعى بعد زمن النبي رؤية الله في الدنيا فهو ضالٌّ وكاذب، والقاعدة أن رؤية المؤمنين لربهم سبحانه لا تكون إلا في الآخرة بعد الموت؛ لأن رسول الله ﷺ قال: ((**تَعَلَّمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَمُوتَ**)). (تَعَلَّمُوا)

---

(١) من التوفيق السكوت عن كثير من مسائل الجدل والخصومات الدينية مما لا نُسأل عنه يوم القيامة، أو مما جعل الله فيه سعة مما اختلف فيه أهل العلم.

بمعنى: (اعْلموا). [الإمام أحمد/ ٢٣٧٢٢ ومسلم في صحيحه/٢٩٣١ والترمذي/ ٢٢٣٥]

الركن السادس الإيمان بالقدر

معنى القدر أن الله تبارك وتعالى قدَّر الأشياء في القدم، وعَلِمَ سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى (١) .

قال تعالى: ﴿ **مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾ [الحديد/ ٢٢ – ٢٣].

والإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، قال ﷺ عندما سئل عن الإيمان: « **أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ** » [مسلم / ٨].

وقال النبي ﷺ: « **إنّ أوّلَ مَا خَلَقَ الله تَعَالَى الْقَلَمَ فقال لَه: اُكْتُبْ، فقَالَ: رَبّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قال: اُكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلّ شَيْء حَتّى تَقُومَ السّاعَةُ**» [أبو داود / ٤٦٨٨].

---

(١) كما ذكر النووي في شرح مسلم.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «..... **وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ** » [الترمذي وصححه / ٢٥١٦].

أنواع المقدرات بالنسبة لاختيار العبد

كل ما يجري في هذا الكون بقدر الله تعالى، لكنَّ **الأمور المرتبطة بالإنسان نوعان:**

الأول: لا خيار له فيه: وذلك كطول قامته وقصرها، ولون بشرته وشعره وعينيه، ونحو ذلك.

الثاني: أمور له فيها اختيار: كالإيمان والكفر، والطاعة والمعصية، وما يختاره في أكله وشربه ونكاحه ونحو ذلك.

والإنسان في النوع الأول مُسَيَّرٌ مُجْبَرٌ لا يدخل في التكليف؛ لأنه لا قدرة له على شيء فيه، والله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها.

وفي النوع الثاني مخيرٌ غيرُ مجبرٍ؛ لأن الله أعطاه الاختيار، ولذلك حَمَّلَهُ اللهُ المسؤوليةَ عن كل عمل يدخل في هذا النوع.

وهكذا فهم الصحابة ﷺ فعندما قرر عمر ﷺ عدمَ الدخول إلى بلد الطاعون، وقد قال له أبو عبيدة ﷺ: **أَفِرَاراً مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟ فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ، نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ، إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ، وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ، أَلَيْسَ إِنْ رَعَيْتَ الخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ، وَإِنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللهِ؟.**

قَالَ فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَكَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ، فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْماً سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ، قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ. (١) **[البخاري / ٥٣٩٧ ومسلم / ٢٢١٩]**

الإيمان بالسمعيات التي ثبتت بالوحي (٢)

بعد الإيمان بما تقدم من جوانب الإيمان لا بد من الإيمان بالسمعيات.

---

(١) وفي هذا الحديث ما عرفه أهل عصرنا من الحجر الصحي الدقيق، عَلَّمَنا إياه النبي ﷺ منذ أكثر من أربعة عشر قرناً.

(٢) المراد بالسمعيات المعلوماتُ الغَيْبِيَّةُ التي تعرف بطريق الوحي من القرآن أو السنة.

وهي كل ما جاء به رسول الله ﷺ سواء كان من أمور الغيب، أو من التشريع، أو غير ذلك؛ فهو ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى.

فمما جاء به ﷺ أنَّه لا يموت إنسان إلا بأجله

قال عز وجل: ﴿ **فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ** ﴾ [الأعراف/ ٣٤] وقال سبحانه: ﴿ **قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ** ﴾ [آل عمران / ١٥٤].

وقال تعالى: ﴿ **وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْساً إِذَا جَاء أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [المنافقون/ ١٠- ١١].

ومما جاء به ﷺ مضاعفة الحسنات

ومما جاء به ﷺ أن الله تعالى يضاعف الحسنات، الحسنة بعشر أمثالها، والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها إلا أن الحسنات قد يضاعفها الله أكثر من ذلك إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة.

قال سبحانه: ﴿ **مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ** ﴾ [الأنعام/ ١٦٠].

وقال عز وجلَّ: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** ﴾ [البقرة/ ٢٦١].

الذنوب صغائر وكبائر

ومما جاء به ﷺ أنَّ الذنوب نوعان: كبائر وصغائر، والتوبة يغفر الله بها الكبائر والصغائر.

والصغيرة يغفرها الله تعالى أيضاً بترك الكبائر وبالأعمال الصالحة [١] قال الله تعالى: ﴿ **إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا** ﴾ [النساء/ ٣١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ ((**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ وَالْجُمُعَةُ إِلَى الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ مَا اجْتُنِبَتِ الْكَبَائِرُ**)) [الإمام أحمد٢/ ٤٠٠ ومسلم / ٢٣٣].[٢]

---

(١) تَضَرَّرَ بعض الناس بمعرفة ذلك فتساهلوا بارتكاب كثير من الذنوب، أو بالإصرار عليها، وقَلَّتْ في قلوبهم الخشية من الله تعالى، فكان في هذا هلاكهم.

(٢) ينبغي أن يتذكر العبد أن الاستهانة بالمعصية الصغيرة والإصرار عليها يجعلها كبيرة وأن الكبائر ليست محصورة في السبع الموبقات بل هي

الله تعالى لا يغفر أن يُشرَك به إلا بالتوبة

ومما جاء به ﷺ أنَّ المشركين لا يَغْفِرُ الله لهم، ولا يخرجون من النار، والجنَّةُ مُحَرَّمَةٌ عليهم، قال تعالى:

﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً** ﴾ [النساء / ٤٨].

وقال عزَّ وجلَّ: ﴿ **إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ** ﴾ [المائدة/ ٧٢] وقال سبحانه: ﴿ **يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ** ﴾ [النساء / ٤٨] ولكنه يُغْفَرُ لهم إذا تركوا كفرهم وآمنوا بالله تبارك وتعالى وبرسوله ﷺ، قال سبحانه: ﴿ **قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ** ﴾ [الأنفال/ ٣٨].

كثيرة، وأن يتذكر أنّ من الكبائرِ كبائرَ باطنة قد تخفى على كثير من الناس، قال تعالى: ﴿ **وَلا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ** ﴾ [**الأنعام / ١٥١**] فقد يتصف الإنسان بالكبر الذي فسره ﷺ بأمرين: الأول: بطر الحق، أي: **رفض الحق**، والثاني: غَمْطُ الناس، أي **احتقارهم**، وقال عن هذه الفاحشة الباطنة التي قد يتصف بها الإنسان وهو لا يشعر: ((**لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**)) [**مسلم / ٩١**].

وعن عمرو بن العاص ﷺ قال: « **فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الإِسْلاَمَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَقُلْتُ: ابْسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعْكَ، فَبَسَطَ يَمِينَهُ، قَالَ: فَقَبَضْتُ يَدِي، قَالَ: مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟ قَالَ: قُلْتُ: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ، قَالَ: تَشْتَرِطُ بِمَاذَا؟ قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الإِسْلاَمَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟** » [مسلم / ١٢١] .

ذنوب عصاة المؤمنين راجعٌ أمرها لمشيئة الله تعالى

من عصى الله تعالى من المؤمنين ولم يتب يستحق عذاب الله تعالى، ومن الممكن أن يغفر الله تعالى له قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً** ﴾ [النساء / ٤٨].

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَحَوْلَهُ عِصَابَةٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: « **بَايِعُونِي عَلَى أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَى مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللَّهُ فَهُوَ إِلَى اللَّهِ: إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ، وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ، فَبَايَعْنَاهُ عَلَى ذَلِكَ** » [البخاري/١٨مسلم ١٧٠٩].

المسلم لا يكفر بارتكاب الكبائر

ومما جاء به ﷺ أنَّ المسلم لا يكفر بارتكاب المعاصي وإن كانت من الكبائر وهو داخل تحت مشيئة الله في المغفرة، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ اللّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْماً عَظِيماً** ﴾ **[النساء/ ٤٨]** .

قال أهل العلم: وما ورد من الوعيد على ارتكاب المعاصي من الأدلة التي قد يُفْهَمُ منها الكفرُ أو الخلودُ في النار فمعناه كفر النعمة، أو المشابهة لأعمال الكفار، وذلك كقول النبي ﷺ : ((**سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ**)) **[البخاري / ٤٨ ومسلم / ٦٤]**.

وقد دل القرآن الكريم على أن معصية العبد لربه بقتاله لأخيه لا تخرجه عن دائرة الإيمان، قال الله تعالى: ﴿ **وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا** ﴾ **[الحجرات/٩]** (١).

---

(١) إذا أردت مزيداً من البحث في هذه القضية وجدته في الملحق رقم (٦) في آخر كتاب المنهج المفيد في بناء الإيمان والعقيدة.

من مقتضيات الإيمان احترام أهل البيت والصحابة ومحبتهم

وأختم هذه الأمور الإيمانية التي جاء بها الوحي بذكر شيء من فضل **أصحابه وأهل بيته** ﷺ ليكون ذلك مُعِيْنَاً لَنَا على ما يجب علينا من احترامهم ومحبتهم، قال تعالى: ﴿**قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى** ﴾ [الشورى/ ٢٣].

وقال سبحانه: ﴿ **يَا نِسَاء النَّبِيّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً * وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً** ﴾ [الأحزاب/ ٣٢-٣٣].

وفضل أهل البيت يعم جميع المؤمنين من أقرباء النبي ﷺ، لكن للسيدة فاطمة ولزوجها علي وابنيها الحسن والحسين ﷺ مزيةٌ على بقية أهل البيت ﷺ ومما يدل على ذلك حديث عائشةَ رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: ((**يَا فَاطِمَةُ أَمَا تَرْضَيْ أَنْ تَكُونِي سَيّدَةَ نِسَاء الْمُؤْمِنِينَ أَوْ سَيّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمّةِ؟**)) [البخاري/٣٤٢٦ مسلم / ٢٤٥٠] .

وعن أبي بكرة ﷺ أن النبي ﷺ قال وهو يشير إلى الحسن ﷺ: ((**إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِن الْمُسْلِمِينَ**)) **[البخاري / ٢٧٥٧]**.

عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبيّ ﷺ : ((**الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**)) **[الإمام أحمد/١١٠١٢ والترمذي وصححه / ٣٧٦٨ ٩]**.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: خرج النبي ﷺ.... فجلس بفناء بيت فاطمة فجاء الحسن ﷺ يشتد حتى عانقه وقبله وقال: ((**اللَّهُمَّ أَحْبِبْهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ**)) **[البخاري / ٢٠١٦ومسلم /٢٤٢١]**.

وعن سلمة بن الأكوع ﷺ أن النبي ﷺ قال ليلة فتح خيبر: ((**لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ – أَوْ لَيَأْخُذَنَّ بِالرَّايَةِ – غَدًا رَجُلٌ يُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَوْ قَالَ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَإِذَا نَحْنُ بِعَلِيٍّ وَمَا نَرْجُوهُ فَقَالُوا: هَذَا عَلِيٌّ، فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الرَّايَةَ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ**)).

[البخاري / ٣٤٩٩ ومسلم /٢٤٠٧]

أما أصحابه ﷺ فهم خير هذه الأمة، قال رسول الله ﷺ : ((**خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**)).

[البخاري / ٦٣١٧ مسلم / ٢٥٣٣]

ولا يبلغ أحد من هذه الأمة درجتهم، قال ﷺ : ((**لا تَسُبُّوا أَصْحَابِي فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**)) **[البخاري/ ٣٤٧٠ ومسلم / ٢٥٤٠]**.

وأفضلهم السابقون الأولون، قال الله تعالى: ﴿ **وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** ﴾ **[التوبة/١٠٠]**.

وخير السابقين الخلفاءُ الراشدون، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ، وهم القدوة الثانية للأمة بعد نبيها ﷺ ، وما كانوا عليه هو الضياء عند ظلمات الفتنِ والاختلافِ قال ﷺ : ((**فَإِنّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلاَفاً كَثِيراً، فَعَلَيْكُم بِسُنّتِي وَسُنّةِ الْخُلَفَاء الرّاشِدِينَ المَهْدِيّينَ تَمَسّكُوا بِهَا، وَعَضّوا عَلَيْهَا بِالنّوَاجِذِ**)).

[الترمذي وصححه / ٢٨١٦وأبو دواد/ ٤٦٠٧]

ومن السابقين الأولين أهل بيعة الرضوان، قال الله تعالى: ﴿ **لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً** ﴾ **[الفتح/ ١٨]**.

الفصل الثالث ميزان الإيمان

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: « **الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ وَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَلَا تَعْجِزْ** » [الإمام أحمد / ٨٧٧٧ ومسلم / ٢٦٦٤].

وإذا كان تحصيل القوة مطلوباً من المسلم في كل جانب في حياته فإنها مطلوبة أكثرَ في جانب الإيمان، ويكونُ ذلك بالحرص والسعي مع الاستعانة بالله تعالى، ويساعده على ذلك وجود موازين يزن بها إيمانه كما يحتاج من كان عنده ضعف في جسده بسبب زيادة السكر، أو الشحوم، أو ارتفاع ضغط الدم إلى موازينِ السكر والضغط وغيرها.

وهذا الميزان له جانبان:

الجانب الأول: الأحوال والصفات والأعمال التي أرشدنا الله إليها ومدح أهلها، وهي شعب الإيمان التي ذكرها رسول الله ﷺ بقوله: « **الإِيْمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً. وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيْمَان** » [البخاري / ٩ ومسلم/ ٣٥].

والجانب الثاني: هو الأحوال والصفات والأعمال التي حرمها الله علينا، وذمها، أو ذم أهلها، وهي المحرمات والفواحش.

والجانب الأول فيه خصالٌ ظاهرةٌ مثلُ بِرِّ الوالدين وصلة الرحم، والبكاءِ من خشية الله، وخصالٌ خفيةٌ، كالحياء من الله تعالى، ومراقبته، والخوف من سوء الحساب.

كذلك الجانب الثاني فيه خصالٌ ظاهرةٌ كالزنا وأكل أموال الناس بالباطل.

وخصالٌ خفيةٌ كالكبر والشحناء والرياء، والأمن منْ عذاب الآخرة.

ويفيدنا في هذا تدبر آيات القرآن الكريم في أمره ونهيه، ومدحه وذمه، وفي قصصه وأخباره، وفي ذكره لعوالم الآخرة وأحوالها، وكذلك في سنة النبي ﷺ وأخباره مع السابقين الأولين ﷺ وأن ننظر فيما ما كتبه أهل العلم في بيان شعب الإيمان ككتاب **شُعب الإيمان** للبيهقي ونحوه، مع النظر إلى أحوال الصحابة ﷺ في هذه الشعب.

وقد بات جماعة من السلف يتلو الواحد منهم آية واحدة ليلة كاملة أو معظم ليلة يتدبرها عند القراءة [1].

---

(١) ومن ذلك ما ذكره النووي في التبيان / ٤٣- ٤٤ عن أبي ذر ﷺ قال: قام النبي ﷺ بآية يرددها حتى أصبح والآية ((**إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ**)) الآية. **[رواه النسائي وابن ماجه]**. وعن تميم الداري

وما ذُكر في هذا الفصل ليس دراسة معلومات، بل هو تذكرةٌ ينتفع بها الموفقون الحريصون على النجاة، مع الاستعانة بالله تعالى.

الفصل الرابع ملحقات مهمة لا بد من معرفتها

الملحق رقم (١) الأولياء وكراماتهم

ذكرت في بحث **الإيمانِ بالرسل** المعجزاتِ، وتُذْكَرُ في العادة كراماتُ الأولياء مع المعجزات، وقد انتشرت ضلالاتٌ خطيرة وتصوراتٌ غير صحيحة تتعلق **بالأولياء وكراماتهم** فرأيت من الضروري أن أذكر جوانب من ضياء العلم فيما يتعلق بهذه القضية، وذلك في النقاط التالية:

١- الكرامات موجودة مع علمي بانتشار أكاذيب وحكايات غير واقعة تنسب لفلان أو فلان، ويوصف

ﷺ أنه كرر هذه الآية حتى أصبح ((**أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**)) .

وعن عبادة بن حمزة قال دخلت على أسماء رضي الله عنها وهي تقرأ ((**فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ**)) فوقفتُ عندها فجعلت تعيدها وتدعو فطال عليَّ ذلك فذهبتُ إلى السوق فقضيتُ حاجتي ثم رجعتُ وهي تعيدها وتدعو اهـ.

كثير منهم جزافاً بأنهم أولياء ومن أحباب الله تعالى، مع علمي بذلك أقول: **كرامات الأولياء ممكنة وواقعة** وإن كان كثير مما يتحدث به الناس منها غير صحيح، لكنَّ كثيراً من الكرامات ثابت في الأحاديث الصحيحة؛ فلا يصح إنكار وجود كرامات للأولياء.

ومن ذلك ما أكرم الله تعالى به غلام قصة أصحاب الأخدود الذي آمن بالله تعالى عن طريق الراهب ونَبَذَ ضلالات الساحر، فقد أكرمه الله عز وجل بأنه كان يبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، وكان يقول للمريض: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي اللهُ، فإنْ أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك، وذلك في قصة أصحاب الأخدود الطويلة، وقد تضمنت تلك القصة كراماتٍ كثيرةً لهذا الغلام.

[أخرجها الإمام أحمد في مسنده / ٢٣٩٧٦ ومسلم /٣٠٠٥]

وكذلك كرامة جُرَيْجٍ الذي كان عابداً في صومعته وقد أُرسِلَتْ إليه امرأةٌ جميلة لتفتنه فلم يلتفت إليها، فأتت راعياً قُرب صومعته فأمكنته من نفسها فحملت منه وولدت

وقالت: هو من جريج، فأنطق الله تعالى الصبي ببراءته، وأخبر أن أباه فلان الراعي. **[البخاري/٣٢٥٣ ومسلم/٢٥٥٠]**

٢- من هو الولي؟

الجواب نأخذه من صريح القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ **أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾ **[يونس / ٦٢ – ٦٣]**.

فالولي له وصفان لا بد منهما، وهما الإيمان والتقوى، وكلما زاد الإيمان والتقوى كانت الولاية أكمل.

٣- لا تلازم بين الولاية والكرامة (الأمر الخارق لقوانين الطبيعة

لا يلزم من وجود الولاية في شخص أن تظهر على يديه الكرامة والأمور الخارقات.

فالوليُّ هو المؤمن التقيُّ، وليست الكرامة جزءاً من الإيمان، ولا جزءاً من التقوى؛ **فمن البعد عن العلم ما كثر في عصرنا من وصف إنسانٍ بالولاية؛ لأنه ظهر على يده أمر خارق للعادة.**

ولا ينتبه هؤلاء المتكلمون أن الأمور الخارقة للعادة قد تظهر على يد مسلم فاسق، أو على يد بعض كفرة الهند، بل ستظهر أمور خارقة للعادة على يد الدجال كما ثبت في الأحاديث الصحيحة.

وقد كثر عند بعض الناس الحديث عن الكرامات، حتى صارت الغالبَ على كثير من أحاديثهم، مع بعدهم عن العلوم الشرعية، وكثيرٌ مما يتحدثون عنه عند التحقيق لا وجود له، وقد يذكرون أموراً يتوهمونها خارقة وليست كذلك.

لكنَّ الصالحين إذا جلسوا مع الناس يحدثونهم بأمور دينهم فالغالب على أحاديثهم الاهتمام بما هم محتاجون إليه، بِهدي القرآن الكريم وهدي النبي ﷺ وبالعلم الشرعي ولم يكونوا يشغلون الناس بالحكايات المرتبطة بخوارق العادات.

٤- لا نجزم بولاية إنسان إلا عن طريق الوحي الإلهي

عَلَّمَنَا الإسلام أن لا نتكلم إلا بعلم، وولايةُ الإنسان لله تعالى مرتبطةٌ بظاهره وباطنه، ونحن نَطَّلِعُ على

الظاهر ونحكم به، أما الباطن فحكمه عند الله تعالى وحده، نستطيع أن نصف إنساناً بالمحافظة على الصلاة في المسجد ونجزم بذلك؛ لأننا نراه، ولا نستطيع أن نصف إنساناً بالإخلاص لله تعالى مع الجزم بذلك، لأننا لا نَطَّلِعُ على قلبه، ويمكن أن نظن الإخلاص فيه ظنّاً.

فمن الخطأ أن نجزم في إنسان أنه وليٌّ لله تعالى، أو أنه من أهل الجنة، أو أنه من أحباب الله تعالى إذا لم يرد في ذلك وحي من الله تعالى، ويسعنا أن نظن فيه أنه ولي، أو أنه من أهل الجنة، ونترك السرائر والعواقب لعلام الغيوب سبحانه وتعالى.

وهذا ما علمه النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم فعندما وصف سعد رضي الله عنه رجلاً بالإيمان بقوله: ((**يَا رَسُولَ اللهِ! مَا لَكَ عَنْ فُلاَنٍ؟ فَوَاللهِ إِنِّي لأَرَاهُ مُؤْمِنا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : أَوْ مُسْلِماً**)) وتكرر ذلك الحوار ثلاث مرات، ثم قال ﷺ : ((**إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَغَيْرُهُ أَحَبّ إِلَيّ مِنْهُ خَشْيَةَ أَنْ يُكَبّ فِي النّارِ عَلَى وَجْهِه**)) **[البخاري/ ٢٧ومسلم/١٥٠]**.

قال النووي رحمه الله تعالى في شرحه لهذا الحديث: **معناه النهي عن القطع بالإيمان، وأن لفظة الإسلام أولى به،**

فإن الإســـلام معلوم بحكم الظاهر، وأما الإيمان فباطن لا يعلمه إلا الله تعالى اهـ.

وكذلك عندما مات عثمان بن مظعون ﷺ قالت أم العلاء وهي من الأنصـار المبايعات: ((**رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ أَبَا السَّائِبِ فَشَهَادَتِي عَلَيْكَ لَقَدْ أَكْرَمَكَ اللَّهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ وَمَا يُدْرِيكِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَكْرَمَهُ؟ فَقُلْتُ بِأَبِي أَنْتَ يَا رَسُـــولَ اللَّهِ فَمَنْ يُكْرِمُهُ اللَّهُ؟ فَقَالَ أَمَّا هُوَ فَقَدْ جَاءَهُ الْيَقِينُ وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرْجُو لَهُ الْخَيْرَ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي وَأَنَا رَسُـــولُ اللَّهِ مَا يُفْعَلُ بِي، قَالَتْ فَوَاللَّهِ لَا أُزَكِّي أَحَدًا بَعْدَهُ أَبَداً**)) **[البخاري / ١١٨٦]**.

وعن أَبِي بَكْرَةَ ﷺ عن النبي ﷺ قَالَ: ((**مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَادِحًا أَخَاهُ لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ أَحْسِبُ فُلَانًا وَاللَّهُ حَسِيبُهُ وَلَا أُزَكِّي عَلَى اللَّهِ أَحَدًا أَحْسِبُهُ كَذَا وَكَذَا إِنْ كَانَ يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْهُ**)). **[البخاري/٢٥١٦ ومسلم/٣٠٠٠]**

قال النووي : قوله: **(ولا أزكي على الله أحداً) أي لا أقطع على عاقبة أحد ولا ضـــميرِه؛ لأن ذلك مُغَيَّبٌ عَنَّا، ولكن أحسب وأظن، لوجود الظاهر المقتضي لذلك اهـ .**

٥- الأولياء لا يتصرفون في شيء من هذا الكون

ما يتوهمه بعض الناس أن لله عباداً وصـلوا إلى مرتبة من الولاية، يعلمون كل شـــيء، أويقولون للشـــيء كن

فيكون، عقيدةٌ باطلة خطيرة من أقبح الباطل، تنافي عقيدةَ ((**وحدانية الله تعالى**)).

ويربط هؤلاء هذا الضـــلال المبين الباطل بالأولياء وبأهل الله، وربما انتســـبوا إلى بعض أهل العلم والفضـــل والدعوة والإصـلاح كالشـيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى أوغيره.

ومن اطلع على ترجمة هذا الشيخ الفاضل في كتب الثقات رأى أشـدَّ التناقض بين سـيرته وما كان يدعو إليه من جهة وبين هذا الباطل الذي يتبرأ منه هذا الشـيخُ وأمثالُه، ويتبرأ منه جميعُ المؤمنين.

ولولا أني أرى انتشـاراً لمثل هذا الغلوِّ الخطير لما كان من الحكمة أن أشـغل الإخوة القارئين بما لا حاجة إليه، ولكن هـذه الأفكـار الخطيرة موجودة ومنتشـرة، فمن الضروري التحذير منها.

٦- لا يصح اعتبار المجنون أو المعتوه من الأولياء

ينظر بعض النـاس إلى بعض المجـانين والمعتوهين بأنهم أوليـاء، بـل يتخـذونهم مرشـدين لهم، يطيعونهم ويخشـون من مخالفتهم، ويسـتشـيرونهم في الأمور المهمة المتعلقـة بالجـانـب الـديني والـدنيوي، وهـذا نهج غير

صـــحيح، فالمجنون والمعتوه كلٌّ منهما غيرُ مكلف، ولا يوصف بطاعة ولا عصيان، فكيف يوصف بالولاية.

من الخير أن نرحم هؤلاء وأن نكرمهم، بل ينبغي أن يرى أحدنا أنهم خير منه، لأنهم لا ذنوب لهم بسـبب أنهم غير مكلفين، فهو عنده ذنوب وسـيئات، وهم طاهرون منها.

وقد أدرك الألوسـي في تفسـيره **روحِ المعاني** بطلانَ هذه النظرة فقال محذراً عند تفسير قوله تعالى: ﴿**إنْ أولياؤُه إلا المتقون** ﴾: **وغالب الجهلة اليوم على أن الولي هو المجنون ويعبرون عنه بالمجذوب، صـدقوا ولكن عن الهدى، وكلما أطبق جنونه وكثر هذيانه واسـتقذرت النفوس السـليمة أحواله كانت ولايته أكمل وتصرفه في ملك الله تعالى أتم** اهـ.

[روح المعاني ج/ ٩ / ٢٠٢]

٧- أعظم الكرامات الاستقامة على هدي النبي ﷺ

أعظم الكرامات في هذه الحياةِ التحققُ بالإيمان والتقوى والاسـتقامةُ على هدي النبي ﷺ مما يحقق للعبد العبوديةَ ليعيش عبداً صالحاً طيباً يخشى الله تعالى ويرجو أن يلحقه الله تعالى بالصالحين.

وكان أكثرُ دعاء رسول الله ﷺ : ((**يا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّت قَلْبي على دِينكَ**)) [الإمام أحمد/٢٦٧٢١والترمذي/ ٣٥٢٢].

وكذلك سيدنا يوسف ﷺ في آخر قصته : ﴿ **رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ** ﴾ [يوسف/ ١٠١].

الملحق رقم (٢)

الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى والتحذير من كهانات منتشرة باسم الاستخارة

من عقيدتنا أن الله وَحْدَه يعلم الغيب ولا يعلم الغيب سواه، قال تعالى: ﴿ **قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ** ﴾ [النمل/٦٥].

من أمراض عصرنا محاولة استطلاع المستقبل

ومن أمراض عصرنا أن كثيراً من أبناء مجتمعاتنا يحاولون أن يستطلعوا غيبَ المستقبل في أمور منها:

محاولةُ معرفة وجود توافق أو تنافر بين الخاطب والمخطوبة، ومعرفة وجود التوفيق أو عدمه في تجارة أو صناعة أو شركة.

ومنها: محاولة معرفة سببٍ غيبيّ لسوء العلاقة بين زوجين، أو سببٍ غيبي لمرضٍ أو مشكلةٍ، أو معرفةِ مكان الضالَّة من متاع أو حيوان، أو مكان المسروق، أو معرفة مَنِ السارقُ أو سبب غيبي لتأخر زواج البنات اللاتي تأخر زواجهن ونحو ذلك، وكل ذلك عن طريق الكهانة بأشكال مختلفة.

انتشار الكهانة باسم الاستخارة

وقد وجد في بلاد المسلمين أناسٌ من الرجال والنساء، يزعمون أنهم يستطلعون الغيب، يأتيهم النساء والرجال يطلبون منهم معرفة الأمور الغيبية السابقة وغيرها فيجيبونهم بكهاناتهم المختلفة، ويُسَمُّون الوسائل التي يلبسون فيها على الناس استخارة.

من وسائلهم: ادعاؤُهم معرفةَ الغيب عن طريق رؤيا منامية، وقد تقدم في الإضاءات أن ما يتعلق برؤيا غير الأنبياء لا يبنى عليه علمٌ، ولا يُعتمد عليه لا في أمر دينيّ ولا دنيوي، وتقدم أن الغيب لا يعلمه إلا الله وحده؛ فكلُ من أخبر بأنه سيكون كذا أو كذا من أمور غيبية، اعتماداً على ما تقدم، أو على نحوه من الكهانات فكلامه رجم بالغيب، والمتكلم كاهن.

ومنها: فتح المصـــحف عند قيامه بالكهانة وزعمه أنه بنظره فيه يعرف ما يرجوه السائل من أمور غيبية، ومنها: استعمال ما يسمونه تبييت الأثر، حيث يأخذ الكاهن ثوباً أو نحوه من آثار إنســـان فَيُبَيِّتُهُ عنده، ويزعم في الغد أنه عرف الأمر الغيبيَّ الذي يريدونه.

ومن يأتي هؤلاء ليســـتطلع الغيب في تلك الأمور ونحوها فإنه مرتكب لمعصـية كبيرة، ومشـابه في عمله هذا للكفار، قال رسول الله ﷺ ((**مَنْ أَتَى عَرَّفاً فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاَةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**)) **[مسلم / ٢٢٣٠]** وقال ﷺ: ((**مَنْ أَتَى كَاهِناً أَوْ عَرَّافاً فَصَـــدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ** ﷺ)) **[الإمام أحمد / ٩٥٣٢]**.

وقـال الخطـابي: والفرق بين العراف والكـاهن أن الكـاهن إنما يتعاطى الأخبار عن الكوائن في المســـتقبل ويدعي معرفة الأســـرار، والعراف يتعاطى معرفة الشـــيء المسروق ومكان الضالة ونحوهما.

قـال العلمـاء: إنمـا نهى عن إتيـان الكهـان لأنهم يتكلمون في مغيبات قد يصادف بعضها الإصابة فيخاف الفتنة على الإنســـان بســـبب ذلك لأنهم يلبســـون على الناس كثيراً من أمر الشـــرائع، وقد تظاهرت الأحاديث الصـــحيحة بالنهي عن إتيان الكهان وتصـــديقهم فيما

يقولون، وتحريم ما يعطون من الحلوان وهو حرام بإجماع المسلمين. **[انظر شرح النووي على مسلم ٥ / ٢٢]**

حقيقة الاستخارة

الاستخارة أن يطلب العبد من الله تعالى أن يختار له الأمر الأحسن لمصلحة العبد وأن ييسره له؛ لأنه وحده الذي يعلم الغيب والقادر عليه، وليس للاستخارة معنى آخر، وما عرف الصحابة ﷺ إلا هذا المعنى، وقد تغيرت مفاهيم الناس عن المفهوم الصحيح للاستخارة، وصار هدفهم في الغالب أن يستطلعوا الغيب وهذا ما سَبَّبَ انتشار الكهانة باسم الاستخارة، وقد بين النبي ﷺ حقيقة الاستخارة بقوله: « **إذَا هَمَّ أحَدُكُمْ بالأمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلِ: اللَّهمَّ إنِّي أسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وأسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وَأسألُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فإنَّكَ تَقْدِرُ ولا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلا أعْلَمُ، وأنْتَ عَلاَّمُ الغُيُوبِ، اللَّهمَّ إنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هَذَا الأمْرَ خَيْرٌ لي فِي دِيني وَمَعاشِي وَعاقِبَةِ أمْرِي**، أو قال: **عاجلِ أمْرِي وآجِلِهِ، فاقْدُرْهُ لِي وَيَسِّرْهُ لي، ثُم بارِكْ لي فِيهِ، وَإنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هَذَا الأمْرَ شَرٌّ لي في دِيني وَمعاشِي وَعاقِبَةِ أمْرِي**، أو قال: **عاجِلِ أمْرِي وآجِلِهِ، فاصْرِفْهُ عَنِّي، واصْرِفْنِي عنْهُ وَاقْدُرْ لِيَ الخَيْرَ حَيْثُ كانَ ثُمَّ رَضِّنِي بِهِ**، قال: **ويُسمِّي حاجَتَهُ** » **[البخاري / ١١٠٩]**.

هذه هي الاستخارة التي صحت في السُّنَّة، فإذا همَّ المسلم بأمر وصلى ركعتين ودعا بهذا الدعاء فقد تمت الاستخارة، فليحذر المسلم ولتحذر المسلمة من الإتيان لهؤلاء الكهان الذين يزعمون معرفة الغيب ويُغَطُّون كهانتهم هذه بتلاوة آيات من القرآن.

الملحق رقم (٣) في التحذير من تكفير المسلم لأخيه

إنَّ من أقبح فتن عصرنا ما جَدَّدَ به بعض أبناء أمتنا فتنةَ الخوارج في تكفيرهم للمسلمين اعتماداً على شبهاتٍ قامت في أذهانهم، وأهواءٍ ملكت قلوبهم، وعواطفَ غلبت عقولهم.

وأهلُ الحق لا يكفرون مسلماً إلا إذا قام الدليل القطعي على كفره، يستنيرون بعلم وفهم من سبقهم من الراسخين في العلم.

ويحذرون مما حذر منه النبيُّ ﷺ أشدَّ التحذير في أحاديث كثيرة منها :

قوله ﷺ : ((**أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلاَّ رَجَعَتْ عَلَيْهِ**)) [البخاري/٥٧٥٣ ومسلم/٦٠].

وقوله عليه الصلاة والسلام: ((.....، **وَمَنْ رَمَى مُؤْمِنًا بِكُفْرٍ فَهْوَ كَقَتْلِهِ**)) [البخاري / ٥٧٠٠].

ومن القواعد التي يعتمدها أهل الحق في هذا الأمر:

١- عدم تكفير المسلم بارتكاب الكبائر وإن وصفت تلك الكبائر في الأحاديث بأنها كفر كحديث: « **سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ** » [البخاري / ٤٨ ومسلم / ٦٤]، **ويُحمَل** الكفرُ في هذه الأحاديث على كفر النعمة، أو على الاتصاف بصفات الكفار، لأنه قد قامت الأدلة على عدم كفره، منها قوله تعالى: ﴿ **وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [الحجرات/ ٩].

٢- أن المسلم إذا عمل عملاً يَحْتَمِلُ الكفر ويَحْتَمِلُ غيرَ الكفر حُمِل على عدم الكفر وقُبِلَ تفسيرُه هو لهذا العمل، وللدافعِ الذي دفعه إليه، ولا تجوز المبادرة إلى الحكم عليه بالكفر بعمله الذي يحتمل الكفر وغيره.

ففي الأم: قيل للشافعي: أرأيت المسلم يكتب إلى المشركين من أهل الحرب بأن المسلمين يريدون غزوهم، أو بالعورة من عوراتهم، هل يُحل ذلك دمه ويكون في ذلك دلالة على ممالأة المشركين؟

قال الشافعي رحمه الله تعالى: لا يحل دم من ثبتت له حرمة الإسلام إلا أن يَقْتُلَ، أو يَزْنِيَ بعد إحصان، أو يكفر كفراً بيّناً بعد إيمان، ثم يَثْبُتَ على الكفر، وليس الدلالةُ على عورة مسلم ولا تأييدُ كافر..... بكفرٍ بَيِّنٍ.

ثم ذكر الشـــافعي حديث حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه الذي كتب إلى المشركين يخبرهم بخروج رسول الله ﷺ بجيشه لفتح مكة وأنزل الله تعالى في شأنه ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ....** ﴾ **[الممتحنة/ ١]** وذكر أن النبي ﷺ صدقه في أنَّه أراد أن يتخذ عند قريش يداً يحمي بها قرابته، وأنه ما فعل ذلك شكاً في دينه، ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام [١].

---

(١) أنا لا أعرف ذنباً يرتكبه مسلم في هذا العصر أعظمَ مما فعله ويفعله بعض المسلمين من مساعدة أعداء الأمة الإسلامية في حربهم لأمتنا وغزوهم لبلاد المســـلمين، ومع هذا لا يجوز لنا أن نُكَفِّرَ هؤلاء الذين يخونون اللهَ ورســـولَه والأمةَ، وليس ذلك شـــفقةً على هؤلاء المجرمين الخائنين، ولكنَّ ذلك شفقةٌ على أنفسنا؛ لأننا إذا كَفَّرْناهم صِرْنا مجرمين مثلهم.

ونذكر في هذا ما رواه الحسن بن علي عن عليٍّ رضي الله عنهما أنه سئل عن الخوارج الذين يحاربونه: أكفارٌ هم؟ قال: مِنَ الكفر فَرُّوا، قيل: فمنافقون؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، وهؤلاء يذكرون الله كثيراً، قيل: فما هم؟ قال قوم أصابتهم فتنة فعموا فيها **[مصنف عبد الرزاق ١٠ / ١٥٠]**.

وقال الشافعي ضِمْنَ بحثٍ قرر فيه أنه لا يجوز أن يُحكم على إنسان إلا بما يُظهر: **وفي جميع ما وصفت دليلٌ على أن حراماً على حاكم أن يقضيَ أبداً على أحد من عباد الله إلا بأحسنِ ما يُظهر وأخَفِّهِ على المحكوم عليه وإن احتمل ما يُظْهِرُ أحسنَه غيرَ أحسنِه .**

ثم قال: **فمن حكم على الناس بخلاف ما ظهر عليهم – استدلالاً على أن ما أظهروا يَحتملُ غيرَ أحسنه بدلالة منهم أو غير دلالة لم يسلم عندي من خلاف التنْزيل والسنة** اهـ.

[انظر الأم ٧ /٢٥٠ و٢٥١ طبع دار المعرفة و٧/ ٣١١ و٣١٢ طبع دار الفكر]

٣ – أنَّه لا يحكم في الأمور التي قد تقتضي الكفر إذا صدرت من مسلم إلا إذا وجدت الشروط وانتفت الموانع، فالذي نطق بكلمة الكفر بإكراهٍ أو سبقِ لسانٍ مثلاً لا يُحكم بكفره، لوجود مانع وعدم تحقق الشروط.

وفي الملحق الموجود في أصل الكتاب **[المنهج المفيد]** أدلةٌ أخرى ونقلٌ لكلام كثير من العلماء في هذه القضية التي يصعب على غير الراسخين في العلم أن يتكلموا فيها.

الملحق رقم (٤) وساوس الكفر لا يؤاخذ بها العبد

كثيرٌ من الطيبين يعيشون في حالة صعبة من القلق والرعب مما يجدونه أحياناً في نفوسهم من خواطر كُفْرِيَّةٍ قبيحة، ويترك ذلك في حياتهم أحوالاً سيئةً، يرافقها وسوسة ترتبط بالخوف من الهلاك.

وهذه قضية من أكبر أسباب الحزن والأسى عند الشخصِ الواقعِ فيها، ويراها من أصعب القضايا، ، ولكنه إذا استضاء بضياء العلم أدرك أن هذه القضية ليست معضلةً ولا خطيرة، وخطبُها يسيرٌ، إذا استضاء عقله وقلبه بضياء الأمور العلمية التالية:

أولاً: أنَّ كثيراً من الإخوة تخلصوا من هذه المشكلة عندما عرفوا النقاط العلمية التالية، واستضاؤوا بضيائها.

ثانياً: أنَّ ما يجده المسلم من هذه الوساوس ليس منه، وإنما هو بضاعةُ الشيطان الذي أكبر ما يقدر عليه في الإنسان هو الوسوسة.

ثالثاً: أنَّ هذه الوسوسة لا يحاسب عليها المسلم، قال رسول الله ﷺ : « **إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لأُمَّتِي عَمَّا وَسْوَسَتْ أَوْ حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا** » **[الإمام أحمد / ٩٠٩٧ والبخاري /٦٢٨٧ ومسلم /١٢٧]**.

رابعاً: أنَّ هذه الوساوس لا تحصل إلا مع أناس فيهم خير وصلاح، يريد الشيطان منها أن يعكر صفو أهل الخير ويشغلهم عن الجوانب المهمة التي تنفعهم في آخرتهم ودنياهم، أما أهل الشرِّ والفساد فإنه لا حاجة له بشَغْلهم؛ لأنهم يسيرون في حياتهم بما يرضاه منهم؛ فالسارق المحترف للسرقة الخبير بشؤونها لا يدنو من بيوت الفقراء، بل يهتم بالسرقة من بيوت الأغنياء.

عن أبي هريرة ﷺ قال جاء ناس من أصحاب النبي ﷺ فسألوه: إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به، قال: ((**وَقَدْ وَجَدْتُمُوهُ**))؟ قالوا: نعم، قال: ((**ذَاكَ صَرِيحُ الإِيمَانِ**)). **[الإمام أحمد/ ٩٦٩٢ومسلم/ ١٣٢]**

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال سئل النبي ﷺ عن الوسوسة، فقال: ((**تِلْكَ مَحْضُ الإِيمَانِ**)) **[مسلم/ ١٣٣]**.

وقد نقل النووي في شرح مسلم عن القاضي عياض رحمهما الله تعالى أنَّ الشيطان إنما يوسوس لمن أيس من إغوائه فينكد عليه بالوسوسة لعجزه عن إغوائه، وأما الكافر فإنه يأتيه من حيث شاء، ولا يقتصر في حقه على الوسوسة، بل يتلاعب به كيف أراد، ومعنى الحديث أنَّ

سبب الوسوسة محض الإيمان، أو الوسوسة علامة محض الإيمان اهـ. **[انظر شرح مسلم للنووي ٢/ ١٥٤]**

ومحض الإيمان وصريحه هو الخالص الذي لا يشوبه شيء.

خاتمة: هذه الصفحات خلاصة تشمل أهم ما يجب على المسلم معرفته من جوانب الإيمان، تجعل الدارس لها على جانب من البصيرة في الدين، ومن الواجب أن نسعى لتحصيل البصيرة في ديننا في العبادات والمعاملات التي نمارسها لنكون من الأتباع الحقيقيين لرسول الله ﷺ، نسأل الله تعالى أن يجعلنا منهم، وأن يحشرنا على حوض رسول الله ﷺ، ثم في الجنة، وصلى الله تعالى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه، والحمد كله لله رب العالمين .